منهج الطلاب

في طلب العلم وفي الآداب

لناسج برده وناظم عقده

عثمان بن محمد سعيد تونكل المكي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

اعتنى به

فرمان هدايت بن مرواردي بن أحمد

دار المنهاج

معهد المنهاج للقرآن الكريم والدراسات الإسلامية

سومطرة الجنوبية - إندونيسيا

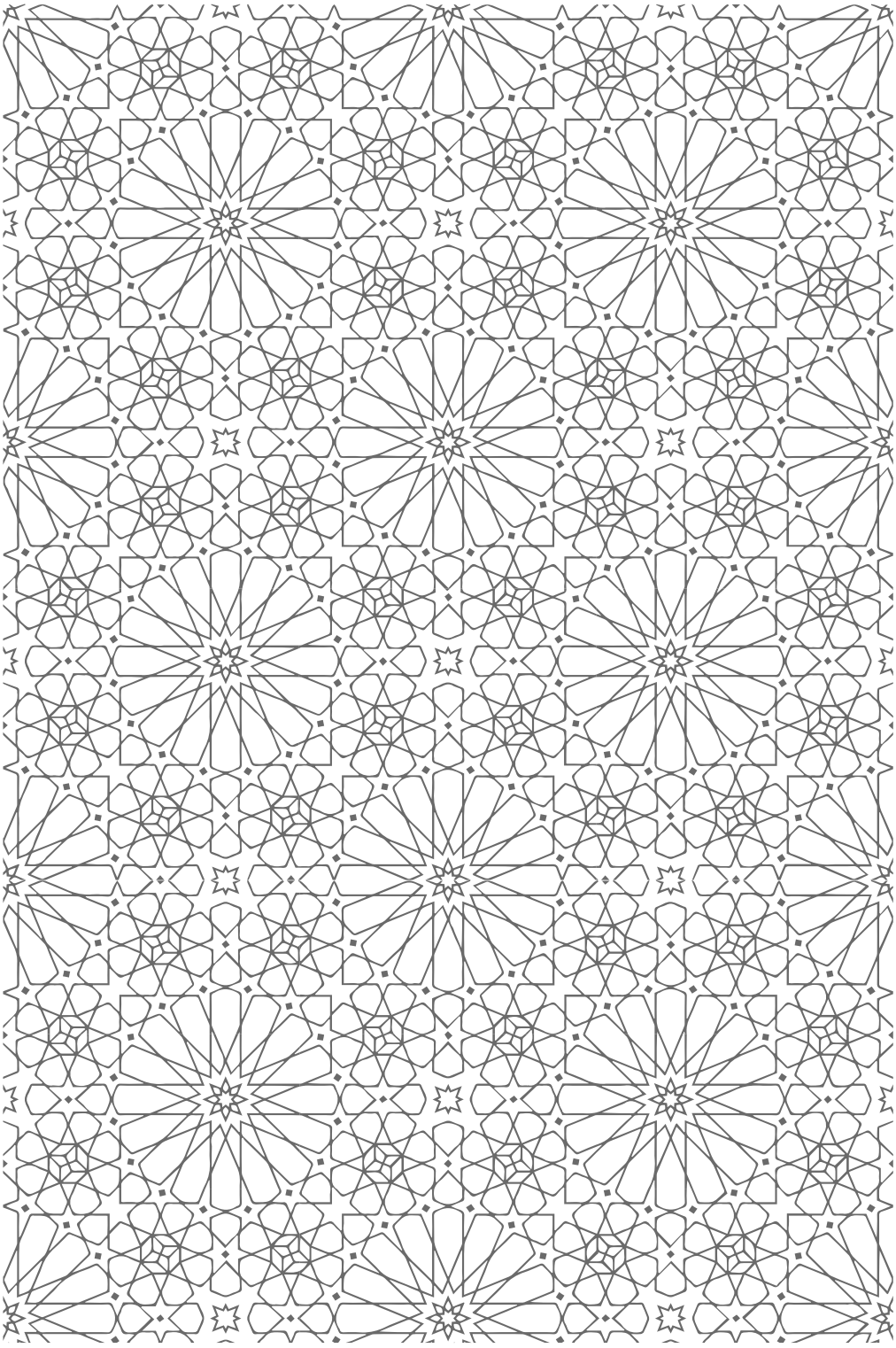

موجز ترجمة الناظم

يعد الناظم من علماء مكة المكرمة ومدرسي المسجد الحرام؛ إذ تولى التدريس في الحرم المكي الشريف مدةً طويلةً من الزمن، وقضى حياته كلها في خدمة العلم والتدريس في جهات مختلفة، وله عدد من المؤلفات. وكان ضليعًا في الفقه الشافعي، فعرف بين طلابه ومحبيه بمهارته في الفقه، بجانب تضلعه في علوم التفسير والحديث والأصول واللغة والعلوم الشرعية، كما كان شاعرًا، وله كتابان نظمًا من شعره.

ولادته ونشأته

ولد الفقيه الشيخ عثمان بن محمد سعيد بن محيي الدين بن مصطفى تونكل ليلة العاشر من شهر رجب 1320 هـ في مدينة تونكل، وهي تتبع ولاية جمبي في سومطرا الشرقية، ثاني أكبر جزر إندونيسيا، واعتنى به والده الفاضل العالم الحاج الشيخ محمد سعيد، وألحقه في كُتَّابه المشتمل على مدرسة ومسجد، فتلقى القرآن الكريم ومبادئ التوحيد والفقه والقراءة والكتابة عليه، وحفظ «الآجرومية» في النحو غيبًا.

ثم ألحقه والده بالمدرسة التحضيرية الرسمية التابعة للحكومة الهولندية آنذاك، فأكمل بها المقررات التحضيرية الابتدائية بالحروف اللاتينية.

ولما بلغ سن البلوغ أرسله والده إلى بلده جمبي، فالتحق بمدرسة نور الإسلام الدينية في عام 1336 هـ تحت رعاية مديرها الفاضل العلامة الشيخ محمد صالح كماس، فأكمل بها المقررات وأخذ من العلوم الدينية مدة خمس سنين، وكان من

مشايخه بالمدرسة وفي جمبي مدير المدرسة، والعلامة محمد طيب عثمان، والعالم الشيخ عبد الله صديق، والعلامة أحمد القاري، والشيخ عبد الغني ياسين، والشيخ أحمد شافعي كماس، السيد محمد بن سالم الكاف، والشيخ عبد الله جعفر كماس، والشيخ عبد الصمد كماس.

رحلته إلى البلد الحرام

وعندما بلغ من العمر إحدى وعشرين عامًا في سنة 1341 هـ أمره والده بالتوجه إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، ومواصلة دراسته على علماء المسجدين الشريفين، فسافر من بلده ووصل ميناء سنغافورة في منتصف شهر رمضان سنة 1341 هـ؛ لكونه المقر الرئيسي لنقل الحجاج بحرًا، ومنها إلى جدة فوصلها في 6/ 10/ 1341 هـ، ثم وصل مكة المكرمة على الرحال في 8/ 10، وأدى فريضة الحج وانتهت أيام الموسم رحيل الحجاج إلى أوطانهم، وبقي هو في مكة المكرمة لتلقي العلم على علماء مكة المكرمة، وإتمام التحصيل على أيديهم.

التحاقه بالمدرسة الصولتية

وبعد الحج فتحت المدارس أبوابها، فالتحق الشيخ عثمان بالمدرسة الصولتية في بداية عام 1342 هـ، وظل بها ست سنين حتى تخرج عام 1348 هـ، وبعد أن تلقى العلم على أساتذة عهده بالمدرسة بإدارة مديرها العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد رحمت الله (ت 1357 هـ).

وأساتذته الذين تلقى العلم عليهم هم: العلامة الشيخ داود دهان، والعلامة الشيخ محمود زهدي بن عبد الرحمن الفطاني، والعلامة السيد هاشم عبد الله شطا، والعلامة سراج محمد نور ششه، ووالعلامة الشيخ حسن بن محمد المشَّاط،

والعلامة المحدِّث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والعلامة المحدِّث الشيخ عمر حمدان المحرسي، والعلامة الشيخ عبد الله بن حسن الكوهجي الفارسي.

دراسته بالمسجد الحرام

وبجانب تلقيه العلم بالمدرسة الصولتية، لم تفته الاستفادة والاستزادة من علماء مكة المكرمة والمسجد الحرام، فشمر عن ساعد الجد والهمة، وجلس أمامهم، سواء في الحرم المكي الشريف، أو في بيوتهم، إذ أخذ العلم عن أكابر المشايخ الأعلام والعلماء الأفاضل، وهم:

الشيخ محمد سعيد يماني، ونجله الشيخ حسن يماني، والشيخ مختار بن عطارد البوقوري، والشيخ عبد القادر بن صابر المنديلي الكبير، والشيخ محمد عمر سمباوا الأندونيسي، والشيخ عيسر رواس، والشيخ أحمد ناضرين، والشيخ حسين عبد الغني الحنفي، والشيخ عثمان سراواك، والعلامة الشيخ جمال المالكي، والعلامة الشيخ محمد علي بن حسين المالكي، والسيد أبو بكر سالم البار، والشيخ عبد المجيد حمزة جمبي، رحمهم الله تعالى أجمعين.

وقد كان جل أخذه عن الشيخ حسن المشاط، إذ لازمه ملازمةً طويلةً، وكان يحرص على حضور جميع دروسه وخدمته، فاتخذه مربيًّا روحيًّا لنفسه، كما حضر حلقات ومجالس العلامة الشيخ عمر باجنيد، والعلامة الشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية، والشيخ أحيد البوقوري، والسيد حسن فدعق، والسيد عبد القادر البار، والسيد علي البار.

اشتغاله بالتدريس

وعند تخرجه من القسم العالي بالمدرسة الصولتية في عام 1348 هـ وقع اختيار

فضيلة مدير المدرسة عليه ليكون من المدرسين بها مع بعض زملائه المتخرجين، كالعلامة السيد محسن بن علي المساوى الفلمباني مؤسس مدرسة دار العلوم الدينية بمكة المكرمة، واستمر على ذلك نحو عشر سنوات، حتى شهر رمضان 1357 هـ، ومنها انتقل إلى مدرسة دار العلوم الدينية بتعيين من مديرها الفاضل الشيخ زبير أحمد الفلفلاني، فتولى التدريس في المراحل الابتدائي والثانوي والعالي، وظل بها مدرسًا عشر سنين من غرة محرم 1359 هـ حتى نهاية شهر صفر 1368 هـ، إذ اعتذر وانفصل منها، ثم صدر أمر مديرية المعارف بإدارة فضيلة المرحوم العلامة الشيخ محمد بن مانع بالموافقة على تعيينه مدرسًا بالمدرسة السعودية في جدة، فمكث فيها من 9/ 5/ 1368 هـ حتى 18/ 11/ 1369 هـ، إذ جرى نقله مدرسًا إلى المدرسة السعدية بمكة المكرمة.

وفي عام 1372 هـ عين مدرسًا في المدرسة السعودية بسوق المعلا في مكة المكرمة، فبقي بها حتى 22/ 11/ 1384 هـ، إذ صدر الأمر بإحالته إلى التقاعد لبلوغه السن القانوني، ثم رجع إلى مدرسة دار العلوم الدينية متبرعًا بتدريس أربع حصص يوميًّا في قسميها الثانوي والعالي، وبعد هذا طلبه مدير المدرسة الصوليتية المرحوم الشيخ محمد سليم رحمت الله للتدريس، فتولى التدريس بالقسم الثانوي والعالي بالمدرسة من 20/ 2/ 1386 هـ، حتى 15/ 5/ 1389 هـ، ثم انقطع للتدريس بالمسجد الحرام وفي داره.

وبعد انقضاء هذه المدة الطويلة في التدريس بهذه المدارس، استحق المترجم له مكافأة وزارة المعارف الموقرة لمن خدم التعليم 25 سنة، وهي خمسة وعشرون ألف ريال في عام 1397 هـ بناءً على موافقة المقام السامي الكريم، وبجانب قيامه

بخدمة العلم في هذه المدارس لم يترك التدريسَ في المسجد الحرام، إذ كان قد أجيز له من الجهة الرسمية مع إجازات علمائه ومشايخه بذلك.

تلاميذه الآخذون عنه

ولاشتغاله بالتدريس في عدة مدارس فقد ترك تلاميذ كثيرين يذكرونه بكل خير وثناء، فجزاه الله تعالى خير الجزاء على ما قدم من تضحيات وخدمات في سبيل العلم وفي مجال التربية والنصيحة.

فمن تلاميذه:

الشيخ أحمد بارزي بن محمد بن فتح الله المدوري. وهو أحد شيوخه الأربعة الذين تخرج عليهم[1] في العلوم. فقد قرأ عليه «شرح المحلي» على المنهاج، و«منهج ذوي النظر» للترمسي، و«الجوهر المكنون» في البلاغة.

وكان كثير الحديث عنه في مناسبات عديدة، من ذلك قوله: وكان من كرمه عليَّ وعلى أصدقائي وأصحابي في الدرس عنده أن يبيح ويأذن لنا بانشراح صدر في دخول مكتبته الكبيرة المملوءة بالكتب الدينية والرسائل العلمية في المذاهب الأربعة، وقد صوَّرنا من كتبه أو نوادر كتبه كثيرًا، كما استفدنا منه فوائد جمة قبل الشروع في الدرس أو بعده.

وسألته مرة عمن هو شيخ تخريجه وتعريجه في العلم والدراية والرواية، فقال: يا أحمد -وسماني أحمد-، إني ما فرَّقت بين مشايخي، وما فضَّلت بعضهم على بعض،

---

(1) والثلاثة الباقون هم الشيخ إسماعيل بن عثمان الزين، والشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي، والشيخ أبي الفيض الفاداني. أخبرني بذلك الفاضل خليل بن أحمد بارزي المدوري.

وكلهم علموني وأدبوني ودلوني وأخذوا بيدي وأخرجوني، وكلهم على حد سواء عندي. اهـ بالمعنى[1]

مؤلفاته

وللشيخ عثمان تونكل مؤلفات منها:

- «سلم الرجا للوصول إلى حل ألفاظ سفينة النجا»، في الفقه الشافعي، ألفه وهو طالب بالمدرسة الصولتية. وقد طبع في مكة المكرمة في 13/ 10/ 1351 هـ، ثم طبع طبعة ثانية في عام 1396 هـ بمطابع دار الثقافة بمكة المكرمة في 68 صفحة على مقاس كبير، ومرة ثالثة على حجم وسط في أواخر حياته، وفي آخره ترجمة له بقلم الفاضل أحمد مرزوق علي شبراملي، وتليه تقاريظ كل من العلامة السيد أبي بكل سالم البار، والعلامة حسن محمد فدعق العلوي الحسيني.

- «منهج الطلاب في فضل العلم وأهله وفي الآداب»، ألفه سنة 1371 هـ، طبع في مصر عام 1387، في في جدة عام 1403 هـ/ 1983 م.

- «الجوهر الثمين فيما يجب على العبد لربما المعين» في علم التوحيد، ألفه سنة 1352 هـ، وطبع في مصر عام 1387 هـ، ومرة ثانية في جدة في 20/ 10/ 1403 هـ، وهو منظوم كسابقه.

- «بغية المحتاج بكفاية ما يحتاجه كل معتمر وحاج» في المناسك، مخطوط. وقد سعى في آخر حياته إلى طبعه وقدمه إلى إدارة المطبوعات لاستصدار ترخيص طبعه، ولكنه لم يتلق الموافقة حتى وفاته.

---

(1) «كفاية الصبيان» (ص5-6).

- «أربعون حديثًا في بعض ما يتعلق بالصلاة والمساجد»، مخطوط.
- «رسالة في علم التوحيد» على طريقة السؤال والجواب، مخطوط.

صفاته الخلقية والخلقية

كان المرحوم متوسط القامة، أبيض اللون مشربًا بحمرة، خفيف اللحية، نحيف البدن، يلبس الجبة الحجازية، ويلف العمامة، يحل العصا في يده، عليه سيما العلماء ووقار العلم، كثير التواضع، حسن الخلق، عليه السكينة والوقار، ذا صوت رقيق، وحديث جذاب، كثير الذكر والتسبيح، مداومًا على تلاوة القرآن الكريم، منعزلًا عن الناس، لا يحب الظهور أو الشهرة، فلا يحضر إلا مجالس العلم والعلماء، ومجتمعات القراءات والصالحين، كثر المطالعة لكتب السنة والفقه، شديد الغضب لله عز وجل في سبيل الإصلاح والنصيحة، ذا خط حسن وجميل جذاب، نسخًا ورقعةً، ويتفنن في كتاباته ومؤلفاته خطا بأشكال بديعة وأساليب رائعة، وكان قد تلقى الخط بالمدرسة الصولتية على يد أساتذة الخطاط الماهر المرحوم الشيخ محمود زهدي الفطاني.

وكان يسكن في جرول القبة، وعين إمامًا لمسجد ريع الرسام، التابع لوزارة الحج والأوقاف، وقد أزيل المسجد في مشروع التوسعة في مدخل دحلة المراوعة، وكان يحفظ القرآن الكريم، ويتلوه حق تلاوته بالنغمة الحجازية المنفردة.

ثم انتقل إلى مخطط السفياني في شارع الحج، فكانت داره لا تخلو من عالم زائر، أو طالب متعلم، أو درس يلقى أو مجلس علم، وكان يحتفظ بمكتة متخصصة في علوم القرآن والسنة، والفقه الشافعي، وغيرها من العلوم.

وقال أ. د. عبد الوهاب أبو سليمان: عرفتُ فضيلة الشيخ عثمان تونكل معرفةً

شخصيةً، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ دائمَ الزيارة والتردد على شيخه الشيخ حسن المشَّاط رحمهما الله، وفيًّا لمشايخه. عُرِفَ بالتقى والصلاح، تبدو عليه سيما العلماء، وقد حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ على لباس زي علماء مكة المكرمة؛ الجبة والعمامة طوال حياته. سكن بجرول (القبة). كان حريصًا على الصلاة في المسجد الحرام ماشيًا على قدميه برغم كبر سنه[1].

وفاته

انتقل الشيخ عثمان تونكل مساء يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1405 هـ في القاهرة إثر عملية جراحية، ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة مساء يوم الأربعاء، فصلي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة الفجر ليوم الخميس 28/ 3/ 1405 هـ، ودفن في حوطة السادات بالمعلاة، رحمة الله تغشاه[2].

(1) حاشية «الجواهر الحسان» (2/ 399).

(2) من ترجمة الشيخ ماجد سعيد رحمت الله بتصرف. وقد ضمن فيها مذكرة للشيخ عثمان، وهي عندي. وينظر: «الجواهر الحسان» (2/ 398-399).

مقدمة الناظم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ مَنْ عَلَّمَنَا بِالقَلَمِ[1] وَعَلَّمَ الإِنْسَانَ[2] مَا لَمْ يَعْلَمِ

مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ الخَاتَمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الضَّرَاغِمِ[3]

وَصَحْبِهِ أَئِمَّةِ الرَّشَادِ وَتَابِعِيْهِمُ إِلَى السَّدَادِ

وَبَعْدُ: فَالعِلْمُ عَظِيْمُ الشَّانِ لِأَنَّهُ سَعَادَةُ الإِنْسَانِ

فَهْوَ أَجَلُّ مَا وَعَاهُ الطَّالِبُ وَأَنْفَعُ الَّذِي اقْتَنَاهُ الكَاسِبُ

---

(1) أي: الخط والكتابة. وأول من خط بالقلم آدم عليه السلام، وقيل: إدريس عليه السلام. وبالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكمُ، وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم. وقال قتادة: الكلام ريح، وقيده القلم؛ لأنه ينوب عن اللسان، ولا ينوب اللسان عنه. خازن. اهـ ناظمه

(2) أي: من أنواع العلم والهداية. وقيل: المراد بالإنسان: النبيّ ﷺ وبيانه. وعلمك ما لم تعلم، وقيل: آدم عليه السلام، وعلم آدم الأسماء كلها. بغوي وخازن. اهـ ناظمه

(3) الضراغم جمع الضرغامة، وهو الشجاع، والفحل القوي، والرجل الشديد. «القاموس المحيط» (ص/ 1132)، «لسان العرب» (12/ 357).

فَهَـــاكَ أَبْيَاتًـــا أتـــتْ في نَظْـــمِ آدَابِ رَاغِـــبِ ارْتِشَـــافِ العِلْـــمِ

سَـــمَّيْتُهَا بِـــ «مَـــنْهَجِ الطُّـــلَّابِ فِـــي طَلَـــبِ العِلْـــمِ وَفِـــي الآدَابِ»

أَرْجُـــو بِهَـــا النَّفْـــعَ لِكُـــلِّ طَالِـــبِ وَمَـــنْ تَلَقَّاهَـــا بِقَلْـــبٍ رَاغِـــبِ

ꕥ

مقدمة: في فضل العلم وأهله

وَفَضْلُهُ أَكْثَرُ مِن أن يُحْصَرَا ... وَقَدْرُهُ أجَلُّ مِن أَن يُذْكَرَا

وَكَيْفَ لَا وَجَاءَ فِي التَّنْزِيْلِ ... فِي فَضْلِهِ وقَدْرِهِ الجَزِيْلِ

وَمِنهُ قَولُ مَن يَرى المَكْنُوْنَا ... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُوْنَا[1]

---

(1) ونصها بالتمام: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر]. استدل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الموافقات» (1/ 75) بهذه الآية على أن روح العلم هو العمل. ولعل وجه استدلاله: أن الله تعالى لما مدح في صدر الآية من قام في الليل ساجدًا وقائمًا؛ حذرًا من الآخرة، ورجاء رحمة ربه، ختم بمدح أولي العلم، ما يشير إلى أن روح العلم هو العمل به. فلو كان العلم المجرد عن العمل ممدوحًا؛ لما كان ذلك مناسبًا.

ولذلك جعل الشربيني رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (3/ 436) صدر الآية صفة أولي العلم. ثم نقل عن «الكشاف»: "وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم، قال: وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله تعالى جهلة حيث جعل الله تعالى القانتين هم العلماء. والله أعلم".

واللهُ يَخْشَـــاهُ مِـــن العِبَـــادِ ... مَـــن كَـــانَ بِـــالعِلم عَلَـــى رَشَـــادِ

وَقَـوْلُ طـهَ فِـي الحَـدِيْثِ: العُلَمَـا ... ورثـــةٌ للأَنْبِيَـــاءِ الكُرَمَـــا

وَعُلَمَـــاءُ أُمَّتِـــي كَأَنْبِيَـــا ... ءِ قَـوْمِ إِسْـرَائِيْلَ[1] نِعْـمَ الأَتْقِيَـا

وَجَـاءَ مَـنْ فِيْـهِ[2] طَرِيْقًـا سَـلَكَا ... قَـدْ سُـهِّلَتْ لَـهُ الجِنَـانُ مَسْـلَكَا[3]

وَغَيْـرُ ذلِـكَ مِـنَ الآيَـاتِ ... وَمَـا رُوِي عَـنْ صَـاحِبِ الآيَـاتِ[4]

قَـدْ زُهِـي بـالعلمِ[5] كـل النـاسِ ... مـن سـائرِ الأقطـارِ والأجنـاسِ

وَهـوَ بَيْـتُ العِـزِّ والكَمَـالِ ... والشَّـرَفِ الرَّفِيْـعِ والمَعَـالِي[6]

---

(1) حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (3/ 580): "قال شيخنا، ومِنْ قبلِه الدَّمِيري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر".

(2) أي: في طلب العلم. اهـ ناظمه

(3) أما في الدنيا بأن يوفقه للعمل الصالح، أو في الآخرة بأن يسلك طريقًا لا صعوبةَ فيها ولا هول إلى أن يدخل الجنة. اهـ ناظمه

(4) أي: المعجزات.

(5) أي: أعجب به. «لسان العرب» (14/ 361)

(6) من أحسن ما روي عن السلف في فضل العلم ما أخرجه الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ، قَالَ: أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي، فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرَ جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، احْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ خَيْرُهَا أَوْعَاهَا النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

=

=

الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ. الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَحَبَّةُ الْعَالِمِ دِينٌ يُدَانُ بِهَا، تُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ. مَاتَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ، وَهُمْ أَحْيَاءٌ. الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ، مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ".

قال الخطيب معلقًا على هذا الأثر: "هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنًى، وأشرفها لفظًا. وتقسيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناسَ في أوله تقسيم في غاية الصحة، ونهاية السداد؛ لأن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام الثلاثة التي ذكرها مع كمال العقل وإزاحة العلل: إما أن يكون عالمًا، أو متعلمًا، أو مغفلًا للعلم وطلبه، ليس بعالم ولا طالب له.

❶ فالعالم الرباني، هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد، وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها.

❷ وأما المتعلم على سبيل النجاة، فهو الطالب بتعلمه، والقاصد به نجاته من التفريط في تضييع الفروض الواجبة عليه، والرغبة بنفسه عن إهمالها وإطراحها، والأنفة من مجانسة البهائم، وقد نفى بعض المتقدمين عن الناس من لم يكن من أهل العلم.

❸ وأما القسم الثالث، فهم المهملون لأنفسهم، الراضون بالمنزلة الدنية والحال الخسيسة، التي هي في الحضيض الأوهد، والهبوط الأسفل، التي لا بعدها في الخمول، ولا دونها في السقوط - نعوذ بالله من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان -. وما أحسن ما شبههم الإمام علي بالهمج الرعاع: والهمج: البعوض، وبه يشبه دناة الناس

=

يَـــزْدَادُ فِي النَّمَـــاءِ بالإِنْفَـــاقِ فَجُـــدْ بِـــهِ لِطَاعَـــةِ الـــرَّزَّاقِ

وَلَـمْ يَمُـتْ عِلْـمٌ بِمَـوتِ صَـاحِبِهْ لٰكِنَّمَـا المَيِّـتُ[1] مَـنْ يَجْهَـلُ بِـهْ

كَـمْ مِـنْ ذَوِيْـهِ مُـوْدَعٌ فِـي لَحْـدِهِ وَعِلْمُـهُ يَزْهُـو كَمَـا فِـي عَهْـدِهِ[2]

وأراذلهم. والرعاع: المتبدد المتفرق، والناعق: الصائح، وهو في هذا الموضع: الراعي، يقال: نعق الراعي بالغنم ينعق: إذا صاح بها". «الفقيه والمتفقه» (1/ 182)

(1) قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن فاته التعليم وقت شبابه، فكبر عليه أربعًا لوفاته. اهـ ناظمه

(2) قال أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الأندلسي في قصيدته المشهورة:

ينالك نفعه ما دمت حيا ويبقى ذكره لك إن ذهبتا

اهـ ناظمه

فصل: في حكم طلبه

طَلَبُــهُ فَــرْضٌ عَلَــى كُــلِّ الــوَرَا مِــنْ مُسْــلِمٍ مُسْــلِمَةٍ[1] بِــلَا امْتِــرَا
جَــاءَ بِــذَاكَ الخَبَــرُ الصَّــحِيْحُ عَــن الرَّسُــولِ لَفْظُــهُ صــرِيحُ[2]

---

(1) قال السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المقاصد الحسنة» (3/ 510): "قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة»، وليس لها ذِكرٌ في شيء من طرق الحديث، وإن كان معناها صحيحًا".

وقد وجَّه عبد الحميد قدُس رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الزيادة على الرواية بالمعنى وهي جائزةٌ، وعليه فهذه الزيادة لا بأس بها. وبيان ذلك: أنه لما كان المتبادر إلى الذهن من الحديث اختصاص طلب العلم بالذكور دون غيرهم، زاد توضيحًا وتنبيهًا على أن وجوب طلب العلم غير مختصٍّ بالذكور، بل واجبٌ على غيرهم من أنثى وخنثى. فوجوب طلب العلم على غير الذكور هو إن كان داخلًا في ضمن «كل مسلم» بالتفسير السابق، إلا أنه غير صريحٍ لكل أحد، فحينئذٍ لا بأس بزيادته «ومسلمة»؛ ليكون تفسيرًا لمعنى الحديث؛ فلا يعترض ويقال: إن لفظ «ومسلمة» لا حاجة إليه؛ لأن تقرير الحديث بما ذكر يغني عنه، فتأمَّل. «الأنوار السنية» (ص 159)

(2) حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» أخرجه ابن ماجه (224)، والبزار (6746)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (17)، واللفظ له.

وَجَـاءَ أَيْضًـا: اطْلُـبِ العِلْـمَ وَلَـوْ ... بِالصِّـيْنِ[1]، هٰكَـذَا الثِّقَـاةُ قَـدْ رَوَوْا

وَغَيْـرُ ذٰلِـكَ مِـنَ الأَخْبَـارِ ... مَرْوِيَّـةً عَـن سَـادَةٍ أَخْيَـارِ

فَعَمَـلٌ بِدُوْنِـهِ لَا يُقْبَـلُ ... لِجَهْلِـهِ بِمَـا أَتَـاهُ يَـا فُـلُ

هٰـذَا؛ وَقَـالَ الحُجَّـةُ الغَزَالِـي ... فِـي حَـدِّهِ[2] العَيْنِـي بِـذَا المِثَـالِ[3]

عَلَـى مُرِيـدِ البَيْـعِ وَالشِّـرَاءِ ... أَنْ يَعـرِفَ الحُكْـمَ بِـلَا امْتِـرَاءِ

مِمَّـا يَصِـحُّ بَيْعُـهُ أَوْ يَحْـرُمُ ... وَمَـا بِـهِ يَثْبُـتُ[4] أَوْ يَنْخَـرِمُ[5]

كَـذَا وَمَـنْ يَرْغَـبُ فِي النِّكَـاحِ ... فَعِلْـمُ مَـا يُقْصِـيهِ[6] عَـن جُنَـاحِ

وَيَعْـرِفُ الـذِي عَلَيـهِ مِـن حُقُـوْقْ[7] ... وَمَـا لَـهُ[8] مِـنَ النُّشُـوْزِ وَالعُقُـوْقْ

---

(1) حديث: «اطلوا العلم ولو بالصين» قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (1/ 390) في تخريجه: "البيهقي في «الشعب»، والخطيب في «الرحلة» وغيرهما، وابن عبد البر في «جامع العلم»، والديلمي؛ كلهم من حديث أبي عاتكة طريف بن سلمان، وابن عبد البر وحده من حديث عبيد بن محمد، عن ابن عيينة، عن الزهري؛ كلاهما عن أنس مرفوعًا به. وهو ضعيفٌ من الوجهين، بل قال ابن حبان: إنه باطلٌ لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»".

(2) أي: مقدار الواجب العيني في طلبه. اهـ ناظمه

(3) وذلك في «إحياء علوم الدين» (1/ 56-61).

(4) أي: به ينعقد البيع لاستيفائه الشروط. اهـ ناظمه

(5) أي: يفسد لعدم استيفائه الشروط. اهـ ناظمه

(6) كعدم المحرمية بينه وبينها بنسب أو رضاعٍ. اهـ ناظمه

(7) أي: لها من النفقة والمسكن والكسوة صيفًا وشتاءً. اهـ ناظمه

(8) أي: له من الحقوق عليها كوجوب الطاعة له عليها وعدم النشوز والعقوق. اهـ ناظمه

وَمِثْلُـــهُ الَّـــذِي يُرِيـــدُ النُّسُـــكَا عَلَيـــهِ أَنْ يَعـــرِفَ ذٰاكَ المَنْسَـــكَا

مِـــن وَاجِبَاتِـــهِ وَمَفرُوضَـــاتِهِ وَشَـــرْطِ صِـــحَّةٍ[1] وَمُفْسِـــدَاتِهِ[2]

بِمِثْـــلِ ذَا تَقِـــيسُ بِـــالبَوَاقِي تَجِـــدْ بِهٰـــذَا أَسْـــهَلَ المَرَاقِـــي

فَـلَا عَلَيْـكَ مِـنْ خِـلَافِ العُلَمَـا[3] وَلَا عَوِيْصَـاتِ[4] المَسَـائِلِ اعْلَمَـا

أَمَّـــا الكِفَـــائِيُّ فَقَـــدْرُ مَـــا يَفِـــي بِـــهِ لِقَمْـــعِ شُـــبْهَةِ المُنْحَـــرِفِ

وَمَـــا يَسُـــدُّ حَاجَـــةَ العِبَـــادِ مِـــن أَمْـــرِ دِيـــنِهِمْ إِلـــى السَّـــدَادِ

فَهْـوَ عَلَـى حَسْـبِ اخْـتِلَافِ القُطْـرِ فَلَـــيْسَ شَـــأْنُ قَرْيَـــةٍ كَمِصْـــرِ[5]

(1) أي: شرط صحة الحج. اهـ ناظمه

(2) هي الجماع قبل التحلل الأول في الحج، وقبل الحلق في العمرة، والردة والعياذ بالله في الحج والعمرة. اهـ ناظمه

(3) أي: اختلافهم في المذاهب الأربعة. اهـ ناظمه

(4) جمع عويص، وهو ما يصعب عليه فهمه. اهـ ناظمه

(5) أي: بلد كبير. اهـ ناظمه

فصل: في بيان العلم النافع

فَحَيْثُمَـــا أُطْلِـــقَ فَـــالمُرَادُ بِـــهْ مَـــا كَـــانَ رَاجِعًـــا لِنَفْـــعِ صَـــاحِبِهْ
وَهْـــوَ الَّـــذِي يَزِيـــدُهُ اسْتِبصَـــارًا فِـــي أَمْـــرِ دِينِـــهِ وَالاسْتِنْصَـــارَا[1]
يُوْرِثُـــهُ الخَشْـــيَةَ[2] وَالخُشُـــوعَا يُلْزِمُـــهُ الرُّجُـــوْعَ[3] وَالخُضُـــوعَا

---

(1) بنقل حركة الهمزة إلى لام الأف. اهـ ناظمه

(2) الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقول المصطفى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلّٰهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ». قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار به جهلًا". وقال بعض السلف: "رأس العلم خشية الله". وقال بعضهم أيضًا: "من كان بالله أعرف، كان منه أخوف".
وقال أبو حيان التيمي: "العلماء ثلاثة: عالم بالله؛ وبأمر الله؛ وعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله. فالعالم بالله الذي يخشاه. والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾".

(3) قال الشيخ ابن تيمية: "يوصف من لم يعمل بعلمه بالجهل وعدم العلم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17]. قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد عن هذه الآية؛ فقالوا لي: كل من عصى الله فهو جاهل؛ وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب". «مجموع الفتاوى» (7/ 539)

يَقُـودُهُ إلـى الَّـذِي يُرضِـي الـرَّحِيمْ يَقِيـهِ شَـرَّ كَيـدِ شَـيْطَانِ رَجِـيمْ[1]

يَحمِلُـهُ عَلَـى اكْتِسَـابِ الآخِـرَهْ يُلْهِيْـهِ عَـن دُنيَـاهُ تلـكَ الغَـادرهْ

يُبْصِـرُه علـى عُيُـوبِ نَفسِـهِ وَسُـوءِ كَسْـبِ مـا يَجِـي لِتَعْسِـهِ

(1) من ذلك ما جرى للشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ كما حكاه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (1/ 172)، قال الجيلاني: "كنت مرة في العبادة، فرأيت عرشًا عظيمًا، وعليه نور، فقال لي: يا عبد القادر! أنا ربك، وقد حللت لك ما حرمت على غيرك. قال: فقلت له: أنت الله الذي لا إله إلا هو؟! اخسأ يا عدو الله!. قال: فتمزق ذلك النور، وصار ظلمةً. وقال: يا عبد القادر! نجوت منِّي بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك.

لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلًا. فقيل له: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال بقوله لي: حللت لك ما حرمت على غيرك. وقد علمت أن شريعة محمد ﷺ لا تُنسخ ولا تُبدل، ولأنه قال: أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا".

فصل: في آداب طالب العلم

إِنْ كُنْتَ صَاحِ طَالِبًا لِلعِلْمِ ... فَاصْبِرْ عَلَى العَنَا بِصِدْقِ العَزْمِ
وَاصْبِرْ عَلَى الضَّنَا وَضِيقَ العَيشِ ... وَفَارِقِ الجهالَ أَهلَ الطَّيشِ
كَمَا عَلَيكَ الصَّبْرُ فِي الصَّيفِ إِذَا ... أَقْبَلَ وَالشِّتَاءِ، وَالجَزَعَ انْبِذَا
وَلْتَقْتَنِعْ بِالزَّادِ وَقْتَ الطَّلَبِ ... بِأَبْسَطِ القُوتِ تَفُزْ بِالمَطْلَبِ
وَاطْلُبْهُ خَالِصًا لِوَجهِ اللهِ[1] ... فَالعِلمُ لَا يُهْدِي لِقَلْبٍ لَاهِي

---

(1) أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.
وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.
وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: =

لَا لِلتَّفَـــــاخُرِ أَوِ التَّبَـــــاهِي ... بِـــــهِ، وَلَا لِشُـــــهْرَةٍ أوجَـــــاهِ
وَاعْمَـلْ بِمَـا عَلِمْـتَ فَهْـيَ الثَّمَـرَهْ ... وَاشْـكُرْ وَإِلَّا تَـكُ مِمَّـنْ أَقْبَـرَهْ
فَـالعِلمُ إِنْ لَـمْ تَـكُ عَـامِلًا بِـهِ ... فَحَظُّـكَ العَنَـاءُ فِـي تَحصِـيلِهِ[1]
فَجَاهِـلٌ إِذَا أَتَـى المُحَرَّمَـا ... فَرُبَّمَـا يُعْـذَرُ إِذْ لَـمْ يَعْلَمَـا
وَأَنْـتَ حَيثُمَـا ارْتَكَبْـتَ عَارِفَـا ... بِحَظْـرِهِ وبِاثْمِـهِ مُعتَرِفَـا
لَا شَـكَّ أَنْـتَ مِنـهُ حَـالًا أَسْـوَأُ ... عَرَفْتَـهُ ذَنْبًـا فَكَيْـفَ تَجْـرَأُ ؟!

كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

(1) قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل".

فصل: في آداب حضور الدرس

إِذَا رَأَيْتَ الوَقْتَ لِلدَّرْسِ قَرُبْ ... فَانْهَضْ بِبِسمِ اللهِ خُذْ تلكَ الكُتُبْ

مُيَمِّمًا تِلكَ الرِّيَاضَ النَّاضِرَهْ ... وَإِنَّهَا لَمِن رِيَاضِ الآخِرَهْ[2]

حَتَّى إِذَا وَافَيتَ تِلكَ الحَلقَهْ ... فَاغْنَمْ وَصَافِحْهُمْ[3] بِكُلِّ شَفَقَهْ

مُسَلِّمًا عَلَى جَمِيعِ مَنْ هُنَاكْ ... وَالشَّيْخَ قَبِّلْ يَدَهُ[4] فَيَا هَنَاكْ

---

(2) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فيما رواه الترمذي، قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتُم برياضِ الجنَّةِ فارتعوا»، قالوا: وما رياضُ الجنَّةِ؟ قال: «حِلَقُ الذِّكرِ».
قال أبو هزان: "قلت لعطاء ما مجلس الذكر؟ قال: مجلس الحلال والحرام، وكيف تصلي؟ وكيف تصوم؟ وكيف تنكح؟ وكيف تطلق وتبيع وتشتري". «حلية الأولياء» (3/ 313)

(3) وفي حديث البراء قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن مُسلِمَينِ يَلتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَن يَتَفَرَّقَا». أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وعنه رضي الله عنه قال ﷺ: «إنَّ المُسْلِمَيْنِ إذَا الْتَقَيا فَتَصَافَحَا وَتَكَاشَرَا بِوُدٍّ وَنَصِيحَةٍ تَنَاثَرَتْ خَطاياهُما بَينَهُما». أخرجه ابن السنِّي

(4) أفرد «الرخصة في تقبيل اليد» الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ بالتصنيف. وقد أرود فيه أحاديث تحكي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قبَّلوا يد رسول الله ﷺ. وقال =

وَاجْلِسْ تُجَاهَ الشَّيخِ فِي تَأَدُّبِ حتى تَنَالَ مِنهُ أَسْنَى مَطْلَبِ
وَدَعْ أُخَيَّ الالْتِفَاتَ وَالنَّظَرْ لِغَيرِ مَقْرُوءٍ أَمَامَكَ اسْتَطَرْ
وَاصْغِ لِمَا صَاغَ مِنَ التَّعْبِيرِ وَمَا تَلَا مِنْ دُرَرِ التَّقْرِيْرِ
وَوَجِّهْ الذِّهْنَ وَكُنْ مُنتَبِهَا مِنْ حِينِ الابْتِدَاءِ حَتَّى المُنْتَهَى

الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (1/ 302): "وأما تقبيل اليد، ففي الباب أحاديث وآثار كثيرة، يدل مجموعها على ثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ".

وفي «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (2/ 44): "وقد صح عنه ﷺ تقبيل بعض الناس ليده ﷺ. ولم ينكر ذلك عليهم، فدل على جواز تقبيل يد العالم. وقد فعل ذلك السلف مع أفاضلهم، وفيه عدة آثار تراها في كتاب «القبل والمعانقة» لأبي سعيد ابن الأعرابي تلميذ أبي داود وفي «الأدب المفرد» للبخاري".

ومع جواز أو استحباب تقبيل يد العالم والكبير، كما أفتى بالثاني النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتاواه» (ص/ 71) لا بد من قيد خطير، وهو أن لا يكون مع ذلك الانحناء، الذي لا يجوز أن يكون إلا لله وحده. قال البجيرمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الانحناء لمخلوق كما يفعل عند ملاقاة العظماء حرام عند الإطلاق، أو قصد تعظيمهم لا كتعظيم الله، وكفر إن قصد تعظيمهم كتعظيم الله تعالى". «إعانة الطالبين» (4/ 220)

ثم إن تقبيل يد العالم والكبير هي عادة جرت بها أهل قُطرنا الإندونيسي للتعبير عن الاحترام والتقدير والتبجيل، شأنه شأن تقبيل الرأس عند العرب. فتركه موجبٌ للذمِّ، لا سيما إن صاحبه ذلك الكبر والإعراض.

هذا، وقد رأيت بعض الناس من أهل قطرنا يمتنعون عن تقبيل يد العالم والكبير بحجة أن بعض العلماء قال بكراهته، وأن الاحترام يمكن أن يعبر بطريقة أخرى غير تقبيل اليد، فينتج ذلك جفاء الطلاب وجفافهم في معاملة شيوخهم وكبارهم. فلا هم طبقوا سنةً، ولا هم تركوا حرامًا.

وَلَا تَقُلْ: شَيخِي الفُلَانِي قَالَا ... خِلَافَ مَا فهِمْتَ بِهِ مَقَالَا

وَلَا تَكُنْ مِنهُ عَلَى بِعَادِ ... مَا لَمْ يَكُنْ لِمُقتَضَي مُرَادِ

كَأَنْ يَكُونَ ثَمَّ مَنْ هُو الْيَقُ ... لِفَضْلِهِ فَالبُعْدُ مِنكَ أَوفَقُ

وَإِنْ عَلَيكَ مُشْكِلٌ فِي الدَّرْسِ ... طَرَا، فَرَاجِعْ بِلِسَانِ الأُنْسِ

لَا تَعْجَلَنَّ بِالسُّؤَالِ قَبْلَ مَا ... يُوَضِّحُ الشَّيخُ المَقَالَ المُبْهَمَا

لَعَلَّ مَا يُزِيلُهُ فِي الشَّرْحِ ... أَوْ زَالَ عَنْكَ بِطَرِيْقِ الفَتْحِ

وَاصْحَبْ دَوَاتَكَ مُقَيِّدًا بِمَا ... يُزِيْلُ عَنْكَ اللَّبْسَ فِيمَا انْبَهَمَا

وَلْتَهْجُرِ النَّومَ وَدَعْ عَنكَ الكَسَلْ[1] ... وَاسْتَغْرِقِ الأَوقَاتَ فِي خَيرِ عَمَلْ

وَلَا تَحِدْ يَوْمًا عَنِ اجْتِهَادِ ... حَتَّى تَنَالَ ثَمَرَ الجِهَادِ

(1) من طريف ما قيل في هذا:

"إن النعاس والكسل ... أحلى مذاقًا من عسل

إن لم تصدِّقْنِي فسَل ... من كان قبلي ذا كسل"

وقد كان الشيخ محسن بن علي المساوَى الفلمباني رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر هٰذين البيتين استنهاضًا للهمم، كما قال تلميذه زكريا بيلا.

فصل: في آداب الخروج والذهاب إلى الدرس

فَـاخْرُجْ عَلَـى أَكْمَـلِ حَـالٍ وَأَدَبْ ... مُسَـمِّيًا بِـاللهِ تَسْـلَمْ مِـنْ عَطَـبْ
وَابْـدَأْ بِيُسْـرَاكَ لَـدَى الخُـرُوْجِ ... وَاعْكِـسْ إِذَا أَتَيْـتَ لِلْوُلُـوْجِ
فِـي مَشْـيِكَ اقْصِـدْ دَائِمًـا دُوْنَ مَـرَحْ ... وَغُـضَّ لِلطَّـرَفِ بِغَيـرِ تَـرَحْ
وَاسْـلُكْ طَرِيْقًـا سَـهْلَةً قَرِيْبَـهْ ... لا تَلْـقَ فِي سُـلُوكِهَا صُـعُوبَهْ
إِلَّا لِقَصْـدٍ صَـالِحِ الأُمُـورِ ... كَكَثْـرَةِ الثَّـوَابِ وَالأُجُـورِ
أَوْ قِلَّـةِ الفَسَـادِ فِي البَعِيـدَهْ ... لَا لِلرِّيَـا أَوْ بَاعِـثِ المَكِيْـدَهْ
افْـشِ السَّـلَام فِـي طَرِيْقِـكَ عَلَـى ... جَمِيـعِ مَـنْ لَقِيتَـهُ مِـنَ المَـلَا[2]
وَإِنْ لَقِيـتَ اللَّهْـوَ وَالغَرَامَـا[1] ... فَاسْـلُكْ كَمَـا مَـرُّوا بِـهِ كِرَامَـا[3]

---

(1) في «المختار»: الغرام الشر الدائم، والمراد هنا مطلق الشر. اهـ ناظمه

(2) يشير إلى حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلام على مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». أخرجه البخاري ومسلم.

قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمراد من الحديث أن تسلِّم على كل من لقيته، عرفته أم لم تعرفه، ولا تخص به من تعرفه كما يفعله كثير من النّاس.

=

وفي بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف إخلاص العمل لله، وترك المصانعة والتملق، وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة". «التوحات الربانية» (5/ 271)

(3) قال الشربيني (2/ 676) في قوله تعالى ﴿مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان]: "أي: آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر إن تعلق بهم أمر أو نهي، إشارةً أو عبارةً، على حسب ما يرون نافعًا. فإن لم يتعلق بهم ذلك، كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه".

فصل: في آداب التلميذ مع الشيخ

يَـا صَـاحِ فَـاعلَمْ أَنَّ حَقَّـهُ عَلَيـكْ ... لَـيسَ أَقَـلَّ مِـن حُقُـوقِ وَالِـدَيْكْ[1]

فَعَـــن عَلِـــيٍّ: أَنَّ مَـــن عَلَّمَنِـــي ... حَرْفًـا أَكُـــنْ عَبـدًا لَـهُ يَمْلِكُنِـي

فَعِظِّمَنْـــهُ وَاحْتَـــرِمْ مَوَاهِبَـــهْ ... وَالْتَـــزِمْ الشُّـــكْرَ وَأَدِّ وَاجِبَـــهْ

وَلْتَمِسَـــنْ رِضَـــاهُ مَهْمَـــا أَمْكَنَـــا ... وَسُـخْطَهُ حَـاذِرْ تَنَـلْ كُـلَّ المُنَـى

وَكُـــنْ مُطِيعًـــا سَـــاعِيًا لِحَاجَتِـــهْ ... مُقَـــدِّمًا لِحَقِّـــه وَرَاحَتِـــهْ

وَلْـتَمشِ خَلْـفَ ظِلِّـهِ المُعَظَّـمِ ... إِلَّا إِذَا اقْتَضَـــاكَ بِالتَّقَـــدَّمِ[2]

وإِنْ حَظَيْـتَ مَعَـهُ فِـي مَجْلِـسِ ... فَلْتَغْتَـــبِطْ وللرضـــا فَـــالْتَمِسِ

وَإِنْ تَكُـــنْ صَـــاحِبَ مَـــالٍ أَنْفِـــقِ ... عَلَيـهِ مُخْلِصًـا لِـرَبِّ المَشْـرِقِ[3]

وَلَا تُصَـــرِّحْ بِاسْـــمِهِ تَأَدُّبًـــا ... بَـلِ انْتَخِـبْ لَفْظًـا أَنِيقًـا طَيِّبًـا

كَسَـــيِدِي الأُســـتاذِ أوكَشَـــيخِنَا ... لَا كَأَخِينَـــا بَـــلْ وَلَا صَـــاحِبِنَا

---

(1) قال في «العطية الهنية»: ورد في الحديث: «آباؤك ثلاثة: أبوك الذي ولدك، والذي زوجك، والذي علمك، وهو أفضلهم». اهـ ناظمه

(2) كأن لم يكن عارفًا بالطريق وأنت تعرفه. اهـ ناظمه

(3) أي: ولا ترى لك فضلًا بذلك، بل تراه قيامًا بالواجب. اهـ ناظمه

وَقُــمْ بِــإِجْلَالٍ إِذَا جَــا مُقْــبِلا وَإِذْ دَعَــاكَ فَأَجِــبْ مُعَجِّــلا
وَلَا تَفُــهْ فِــي غَيْبَــةِ المُبَجَّــلِ إِلَّا بِحُسْــنِ ذِكْــرِهِ المُفَضَّــلِ[1]
مَــعَ اعْتِقَــادٍ لَاحَ فِــي الضَّــمِيرِ بِــلَا تَصَــنُّعٍ وَلَا تَزْوِيــرِ
وَلَا تُسِــئْ ظَنًّــا بِــهِ فِي حَــالِ فَقَــدْ يَكُــونُ مِــنْ ذَوِي الأَحْــوَالِ
حَسْــبُكَ عِبْــرَةً بِمُوسَــى والخَضِــرْ فَبَعْــدَمَا أَنكَــرَ جَــاءَ يَعتَــذِرْ[2]

❧◆❧

(1) فضلًا عمن يجعل الغيبة جزءًا من العبادة التي أمر الله بها، باسم الجرح والتعديل. وفي هذا المقام أشير إلى رسالة نفيسة لعلامة الشام المحدث محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: «ميزان الجرح والتعديل»؛ فإنها نفيسة، فليطالعها من أحب.

(2) قال في «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربِّنا الحكيم الخبير» (2/ 400): "من فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعمله، ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه، فلعل فيه سرًّا لا يعرفه، وأن يداوم على التعلم، ويتذلل للعلماء، ويراعي الأحب في المقال، وأن ينبه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حين يتحقق إصراره ثم يهاجره".

فصل: في آداب الشيخ

وَالشَّـــيْخُ قُـــدْوَةُ المُرِيـــدِ حَقَّـــا ... إِنْ كَـــانَ شَـــأْنُهُ لِـــذَا اسْـــتَحَقَّا

إِذْ كَـــانَ عَالِمًـــا تَقِيًّـــا زَاهِـــدَا ... مُتَابِعًـــا نَهْـــجَ الهُـــدَى وَعَابِـــدَا

وَلَمْ يَكُـــنْ فَظًّـــا غَلِـــيْظَ القَلْـــبِ ... وَلَا مُرَائِيًـــا كَثِـــيْرَا العُجْـــبِ

قَـــدْ وَافَقَـــتْ أَفْعَالُـــهُ أَقْوَالَـــهْ ... وَطَابَقَـــتْ أَسْرَارُه أَحْوَالَـــهْ

شِـــعَارُهُ الخَشْـــيَةُ وَالخُشُـــوعُ ... وَالصِّـــدْقُ وَالصَّـــلَاحُ وَالقُنُـــوعُ

يُجِلُّـــهُ الوَقَـــارُ والسَّـــكِينَهْ ... تَحُفُّـــهُ المُـــرُوءَةُ الحَصِـــيْنَهْ

مُرْتَـــدِيًا بِـــالحِلْمِ وَالإِنْصَـــافِ ... مُـــؤْتَزِرًا بِالصَّـــبْرِ وَالعَفَـــافِ

لَمْ يُعْـــطِ نَفْسَـــهْ هَوَاهَـــا بَـــلْ قَمَـــعْ ... عَـــن غَيِّهَـــا وَصَـــانَهَا عَـــنِ الطَّمَـــعْ

فصل: في الآداب مع الأقران والأصدقاء

وَاخْتَرْ إِذَا احْتَجْتَ خَلِيْلًا صَادِقا ... مُخْلِصًا بَرًّا حَمِيْمًا حَاذِقَا[3]

ذَا عِفَّةٍ وَهِمَّةٍ حَلِيْمَا ... وَمُنْصِفًا مُؤْتَمَنًا كَرِيْمَا

إِذَا ذَكَرْتَ كَانَ مِعْوَانًا، وَإِنْ ... ذَهِلْتَ ذَكَّرَكَ حَتَّى تَطْمَئِنْ

فَكُنْ أَخَا حِلْمٍ جَمِيلَ الطَّبْعِ ... مُهَذَّبَ النَّفْسِ مُصِيخَ السَّمْعِ

وَنَاصِحًا لَهُ صَدُوقًا وَافِيًا ... وَمُتَوَاضِعًا صَبُورًا وَاعِيًا

فَكُنْ لَهُ بِهَيِّنٍ وَلَيِّنٍ ... سَهْلٍ حَلِيمٍ عَاطِفٍ لَا خَشِنِ

وَاحْذَرْ مِنَ الفُسَّاقِ وَالأَشْرَارِ ... فهُمْ دُعَاةُ السُّوءِ وَالأَوْزَارِ

عَلَيْكَ بِالأَخْيَارِ[1] والتَّرَدُّدِ[2] ... عَلَى مَجَالِسِ الشُّيُوخِ الزُّهَّدِ

---

(1) أي: بمصاحبتهم ومجالستهم. اهـ ناظمه

(2) أي: لأخذ العلم، وسماع النصائح، وتلقي الإرشادات، والتخلق بأخلاقهم الفاضلة. اهـ ناظمه

(3) وفي «عوارف المعارف»: ورد في الخبر: «المؤمن كثير بأخيه»، وفيه أيضًا: وقد رغب جمعٌ من السلف في الصحبة والأخوة في الله، وعن بعضهم قال:

وحدة الإنسان خير ... من جليس السوء عنده

=

كَـيْ تَقْـبِسَ الأَنْـوَارَ مِـن أَقمَـارِهِمْ وتســـتطيعَ الســـيرَ في آثـــارِهِمْ
وَخَـــالِقِ النَّـــاسَ بِخُلْـــقٍ حَسَـــنِ بِلَفْظِـــهِ جَـــا فِـــي حَـــدِيثٍ حَسَـــنِ

❧♦❧

=

وجلـــــيس الخيـــــر خيـــــر مـــــن قعـــــود المـــــرء وحـــــده

اهـ ناظمه

فصل: في آداب المذاكرة والمطالعة

قَـالُوا: حَيَـاةُ العِلْـمِ بِالمُـذَاكَرَه[1] مِثْـلُ الغِـذَاءِ لِلنُّفُـوسِ النَّاضِـرَهْ[2]
فَـدَقِّقِ الفِكْـرَ مَـعَ الإِمْعَـانِ فِيمَـا قَرَأْتَـهُ مَـعَ الأَقْـرَانِ
أَوْ بَـينَ نَفْسِـكَ وَبِالتَّأَمُّـلِ وَمَـا جَفَـاكَ الفَهْـمُ عَنْـهُ فاسْـأَلِ[3]

(1) مما ورد في فضل المذاكرة قول أبي الدرداء رضي الله عنه: مذاكرة العلم ساعةً خير من قيام ليلة.

(2) فكما أن حياة الجسد ونموه عادة تكون بتناول الغذاء والطعام، فكذلك العلم لا يدوم ولا ينمو إلا بإكثار المذاكرة له والمراجعة لمسائله. اهـ ناظمه

(3) وبكثرة الاستغفار؛ فإن الذنوب تحول بين الإنسان، والعلم، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾، قال ذلك بعد أن قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾، فدل هذا على أن الاستغفار من أسباب فتح العلم. «تفسير سورة الفاتحة والبقرة» لابن عثيمين (2/ 269)

وكان ابن تيمية فيما حكاه في «العقود الدرية» (ص/ 38) يذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها ويمرِّغ وجهه في التراب، ويسأل الله تعالى ويقول: "يا معلِّم إبراهيم فهِّمْني".

وَاسْتَرْعِ مَا فِي الشَّرْحِ أَو فِي الحَاشِيَه ... فِـي حَـلَّ مُعْضَـلِ المَعَـانِي الخَافِيَـهْ
وَمَرْجِـــعِ الضَّـــمِيْرِ وَالإِعْـــرَابِ ... وَالضَّـبْطِ وَالبَحْـثِ عَـنِ الصَّـوَابِ
وَغَيْـــرَ مَـــا أُشِـــيْرَ كَـــالتَّرْجِيحِ ... وَالنَّقْـــدِ وَالتَّضْـــعِيفِ وَالتَّجـــرِيحِ
إِلَّا الَّـــذِي مَـــا تَحْتَـــهُ مِـــن طَائِـــلِ ... أَو خَـــارِجٍ عَـــنْ مَبْحَـــثِ المَسَـــائِلِ
وَلْتَتَّخِـــذْ لِـــذَا مَكَانًـــا هَادِئًـــا ... وَوَافِـــرَ النُّـــورِ مُرِيحًـــا هَانِئًـــا

فصل: في آداب اختيار المدرسة

وَاخْتَــرْ مِــنَ المَــدَارِسِ المُفِيــدَه مَــعْ قُرْبِهَــا إِلَيــكَ لَا البَعِيــدَهْ[1]

---

(1) نعم، هناك بعض المدارس والمعاهد ليس لأصحابها هم إلا استجلاب الطلاب والتكثير من الواردين إليها، فكانوا أشبه ما يكونون بالتجار أصحاب السلع من المربين مريدي الخير. لذلك صار همهم الأكبر الدعاية لمدارسهم، مع تزييف المعلومات الحقة عنها، وضخَّموا إنجازاتهم، وأظهورا حسنةً قليلةً وإيجابية ضئيلةً، على حساب آلاف السيئات والسلبيات. وما أكثر الطلاب ضاع أكثر أوقاتهم النفيسة فيما لا يجدي نفعًا، وقد أنفق أولياء أمورهم في دفع مبالغ باهظة لتلك المدارس كل شهر، رجاء أن يتخرج أولادهم حاملين لواء العلم والمعرفة، متخلقين بأخلاق العلماء، ولكن هيهات هيهات لما يوعدون!!!

إن المعهد بنظامه السكني المعروف عندنا في القطر الإندونيسي أنسب بيئة لملازمة الشيوخ وتأصيل العلوم؛ إذ إقامة الطلاب فيه وعدم خروجهم عنه طيلة دراستهم فيه لفرصةٌ ثمينة يجب استغلالها. وأنت خبيرٌ بأن هذا النظام الفريد هو الحل الوحيد لأكثر المشاكل والعوائق التي يواجهها الطلاب في هذا العصر. وأغلب الذين ينتظمون فيه لمستعدون لتلقي العلم، فمن الظلم تركهم في غير برنامج علميٍّ مؤصل. فلهم استعداد في حفظ القرآن، واستعداد في حفظ الأحاديث، واستعداد في حفظ المتون، واستعداد في تفهم الفنون.

=

وَاحْتَرِمَنْهَا وَاحْتَفِظَنْ حُقُوقَهَا وَحَبِّبَنْ لِأَهْلِهَا طَرِيْقَهَا

وَإِنْ تَكُن مِنهَا قَرِيبَ الدَّارِ فَرَاعِ معْهَا حُرْمَةَ الجِوَارِ

وللمعهد أن يغرس فيهم ما يريد ويصلح لهم. بخلاف المراحل الجامعية التي غالبها تعتمد على اجتزاء المقررات، وتكتفي بالمذكرات والملخَّصات، بل وتنزل عند رغبات الطلاب.

ولذلك تجد أن خريجي المعاهد التي تحافظ على الطريقة التقليدية في التعليم لا يحتاجون إلى المرحلة الجامعية، سوى الشهادة التي طغت في هذا العصر، والتي يراها بعضهم أنها الأهم من العلم نفسه! فالمقررات فيها دون مقررات تلك المعاهد بكثيرٍ، بل الفرق بينمها بعيد، بعد المشرقين!

في النظام التقليدي يدرس الطلاب «سفينة النجا» وشرحه، و«فتح القريب المجيب»، و«فتح المعين»، و«الفرائد البهية» وتقريراتها، و«الورقات» وشرحها، و«لطائف الإشارات»، و«القواعد الأساسية» في الفقه، وقواعده، وأصوله، و«الآجرومية» وشرحها، و«قطر الندى» وشرحه، و«ابن عقيل»، و«قواعد الإعراب» وشرحها، و«الأمثلة التصريفية»، و«عنوان الظرف»، و«فتح اللطيف الخير» في النحو والصرف، و«دروس البلاغة»، و«الجوهر المكنون» وشرحه في البلاغة، و«الأربعين النووية» وشرحها، و«رياض الصالحين»، و«تيسير مصطلح الحديث» في الحديث ومصطلحه، و«نهج التيسير»، و«تفسير الجلالين» في علوم القرآن والتفسير، وغيرها من الكتب.

هذه نماذج من المقررات، وفيها شيء من الاختلاف بين المعاهد التقليدية، ولكن هذه معظم مقرراتها تقريبًا. وهل هناك جامعة تقرر على طلابها مثل هذه المقررات في القوة والمتانة؟! نعم، لا شك أن هناك ثغراتٍ، غير أنها يمكن تغطيتها في أوجز وقت وأيسر جهد، بخلاف الثغرات التي تعتريها المرحلة الجامعية في هذا العصر!

عَلَيْكَ بِالتَّبْكِيرِ فِي الحُضُوْرِ مُوَاظِبًا عَلَيْهِ فِي الشُّهُورِ
وَاخْضَعْ لِمَا أَلْزَمَهُ قَانُونُهَا وَكُلِّ مَا قَضَى بِهِ نِظَامُهَا[1]
وَإِن يَكُن عَرَاكَ عُذْرٌ وَاعْتَرَضْ دُونَ حُضُورِكَ لِشُغْلٍ أَوْ مَرَضْ
فَاكْتُبْ إِلَى مُدِيرِهَا الإِفَادَه بِعَارِضِ العُذْرِ مَعَ الإِجَادَه

(1) و«المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ» كما جاء في الخبر.

فصل: فيما ينبغي الاعتناء به من العلوم

وَاعْلَمْ بِأَنَّ فَضْلَ كُلِّ عِلْمٍ ... بَحَسَبِ انْتِسَابِهِ فِي الحُكْمِ
وَمَا تَعَلَّقَ بِحَقِّ الخَالِقِ ... أَوْ بِرَسُولِهِ الأَمِينِ الصَّادِقِ
فَفَضْلُهُ أَعْظَمُ مِن سِوَاهُ ... لِعُظْمِ قَدْرِ شَأْنِ مَا حَوَاهُ
فَقَدِّمِ التَّوحِيدَ إِذْ لَا تُقْبَلُ ... بِدُونِهِ الطَّاعَاتُ حَتْمًا تُهْمَلُ
فَإِنَّ مَنْ يَجْهَلُ بِالمَعْبُودِ ... لَا يَعْرِفُ المَقْصُودَ بِالسُّجُودِ[3]

---

(3) قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح العقيدة الطحاوية» (1/ 6): "أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: «الفقه الأكبر» وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه".

هذا؛ ولا بد من التنبيه على أن السلامة في الاعتقاد اتباع ما كان عليه السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وابتعاد ما كان عليه الخلف. ولله در القائل رَحِمَهُ اللَّهُ:

"فكل خير في اتِّباع مَن سلف ... وكل شرٍّ في ابتداع مَن خلف"

=

وَبَعْـــدَه الفِقْـــهُ فَـــإِنَّ فِيـــهِ تِبْيَـــانَ حُكْـــمِ رَبِّنَـــا تُلفِيـــهِ
مِـنْ كُـلِّ مَـا أَوجَـبَ، أَو عَنـهُ زَجَـرْ وَمَـا أَحَلَّـهُ لَنَـا وَمَـا حَظَـرْ(3)

ولهذا ينبغي الرجوع إلى ما كتبه القدامى من العلماء الراسخين في العلم في الاعتماد عليه في التعليم والتأصيل العلمي؛ إنفاذًا لوصية الشيخ اللقَّاني في بيته السابق، كـ «أصول السنة» للحميدي (ت 219)، و«أصول السنة» للإمام أحمد (ت 241هـ)، و«شرح السنة» للمزني (ت 264 هـ)، و«صريح السنة» للطبري (ت 310 هـ)، و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (ت 399)، و«الحائية» لابن أبي داود (ت 316 هـ)، و«النونية» للقحطاني.

(3) أما الفقه فقد اضطربت طريقة بعض المعاصرين في دراسته والتأصيل فيه، فقد دعا بعضهم إلى التحرُّر من مذاهب العلماء المعتبرة مدى الأزمان والبلدان؛ ظنًّا منهم أن ذلك التحرر سيحلُّ مشكلةَ الجمود والتعصب. وما يدرون أن ما هم عليه يوجب الفوضى والمشكلات الخطيرة؛ إذ كان الناس على مذاهب منحصرة في الأربعة، لكن بالعمل على تلك الدعوى يوجب تعدد مذاهب الناس إلى ما لا ينحصر. فإن كل متصدِّر للتدريس والفتوى -ولم أقل كل عالم متأهِّل متصدِّر للتدريس والفتوى- يأتي بأقوال وآراء خاصة به، فتعددت مذاهب الناس حتى أوقعهم ذلك إلى الفوضى في الحياة الاجتماعية، فلم تستقر أمورهم، واضطربت أحوالهم.

وقد جاء في «المسوَّدة» (ص/ 541) لآل تيمية رحمهم الله: "أن القاضي أبا يعلى قصده فقيه ليقرأ عليه مذهب أحمد، فسأله عن بلده؟ فأخبره، فقال له: إن أهل بلدك كلهم يقرأون مذهب الشافعي، فلماذا عدلت أنت عنه إلى مذهبنا؟! فقال له: إنما عدلت عن المذهب رغبةً فيك أنت. فقال: إن هذا لا يصلح! فإنك إذا كنت في بلدك على مذهب أحمد، وباقي أهل البلد على مذهب الشافعي، لم تجد أحدًا يعبد معك، ولا يدارسك، وكنت خليقًا أن تثير خصومةً، وتوقع نزاعًا! بل كونك على مذهب الشافعي حيث أهل

=

بلدك على مذهبه أولى. ودلَّه على الشيخ أبى إسحاق، وذهب به إليه فقال: سمعًا وطاعةً، أقدمه على الفقهاء، والتفت إليه".

وحكى أ. د. مصطفى مخدوم قائلًا: "مرةً ذهبت إلى إندونيسيا لحضور المؤتمر، وبعد المؤتمر لقيتُ بعض طلابي الذين درسوا في الجامعة، وسافرنا سويًّا إلى بلدهم من أجل الاطلاع على المدرسة التي أنشأوها أو المدارس –ما شاء الله– التي أنشأوها في بلدانهم، فلما طلبت الاطلاع على المنهج، اطَّلعتُ فإذا مادة الفقه المذهب الحنبلي، كتاب «زاد المستقنع»، فأتيت بطالبي هذا –الدكتور محمد–، فقلت: يا دكتور محمد ما هذا عندكم؟ الحنابلة في إندونيسيا؟، قال لي: لا يا شيخ، ما عندنا. [قلتُ له]: طيب، لماذا تدرِّسون المذهب الحنبلي؟ قال : والله، لأننا درَسنا المذهب الحنبلي، فنحن ندرِّس ما درَسنا، وقلت له : أهذا من الفقه؟! والله أنا ما علَّمتُك هذا يا شيخ محمد، الآن كل إندونيسيا شافعية، وتأتي أنت وتدخل بالمذهب الحنبلي". «ينظر: https: / /www.youtube.com /watch?v=llmWleTMKZA»

ثم رأيت د. عامر بهجت ينشد أبيات البشير امباريكي رَحِمَهُ اللَّهُ:

"لا ينبغي للشخص من تمذهبِ ... بغير ما في قطره من مذهب

بل ينبغي إن يأت قُطرًا فيه ... مذهبه يُجهل أن يخفيْهِ

وحذّروا كذاك أن تُغيّرا ... على الورى حكمًا به عُرف جرى

ما دمت تلفي مذهبًا صحيحا ... مسوّغًا له ولو مرجوحا

وكل ذا خوفا عليك وعلى ... عقائد الجهال أن تزلزلا"

ومن الغريب أن يدعي بعضهم أن ما هم عليه من القول أو المذهب هو السنة، ما يوهم أن مذاهب غيره بدعةٌ. ولهذا كان الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل بعبارة: ما رأي الشرع في كذا؟ أجاب بما نصُّه: "لا أحبُّ أن يوجه السؤال لشخص باسم ما رأي الإسلام؟ أو ما رأي الشرع؟" لسببين، ثم ذكر ثانيهما:

=

"السبب الثاني: أن كلمة «رأي الشرع». معناها: أن هذا الموجَّه إليه هذا السؤال إذا تكلم وأجاب فإنما يجيب بالشرع، ولا شك أن هذا على خطر عظيم؛ لأن الإنسان قد يخطئ في حكمه، فإذا أخطأ في حكمه ونحن ننسب ما يقول إلى الشرع فمقتضاه أننا نخطِّئ الشرع. لذلك أرجو أن يكون التعبير: ما حكم الشرع في نظركم مثلاً، أو ما ترى في كذا وكذا؟ حتى إذا أخطأ الإنسان كان خطؤه على نفسه، ليس على الشرع".
«مجموع الفتاوى والرسائل» (25/ 357)

وقال أيضًا: "لا ينبغي أن يقال لمفتٍ: ما حكم الإسلام في كذا، أو ما رأي الإسلام في كذا، فإنه قد يخطئ فلا يصيب حكم الإسلام، ولا يقول مفت: حكم الإسلام كذا؛ لأنه قد يخطئ، ولكن يقيد، فيقول: حكم الإسلام فيما أرى كذا وكذا إلا فيما هو نص واضح وصريح؛ فلا بأس". «مجموع الفتاوى والرسائل» (10/ 1084)

تأمَّل جواب ابن عثيمين وتقريره في ذلك، فإنه مع مكانته المعروفة وتمكِّنه في العلم والفقه، لم يقطع بأن ما قاله وما أفتى به هو عين الإسلام أو السنة، بل ينسبه إلى رأيه ونظره في الشرع، خلافًا لبعض مدَّعِي العلم والفقه في هذا العصر!

فإن قيل: إن بعض العلماء كانوا يخرجون عن مذاهبهم التي ترعروا عليها، ومالوا إلى نوع من الاجتهاد، كأبي يعلى، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن عثيمين، وابن باز، وغيرهم. قيل له: لا يعني ذلك التخلي عن نسبتهم إلى المذهب الحنبلي، بل لما فتح الله عليهم من العلم، وأسباب التأهل، ترقَّتْ بهم الحالُ إلى درجة الاجتهاد، كما قال في «المدخل المفصل» (1/ 575). ثم إن ترقيهم إلى تلك الدرجة لدليلٌ ساطعٌ وبرهانٌ قاطعٌ على صلاحية التمذهب في التفقُّه؛ إذ أوصلهم ذلك إلى ما صاروا إليه من الاجتهاد. فإذا أراد المتفقِّه أن يكون مثلَهم، فعليه بالبدء بما بدأوا به، لا بما انتهوا إليه.

هذا؛ وينبغي أن يُعتقد بأن هٰؤلاء الأئمة الأربعة أبا حنيفة، ومالكًا، والشافعيَّ، وأحمدَ رضي الله عنهم أئمة في الأصول -وأعني بها أصول الدين- والفروع على حد سواء. ولهذا ذمّ أبو المظفَّر السمعاني رحمه الله في «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص/ 8) مَن اقتصر على

ثُـــمَّ التَّصَـــوُّفَ فَـــنِعْمَ العِلـــمُ إِذْ قَلْبُنَـــا يَصْـــفُو بِـــهِ وَيَسْـــمُوْ
فَهُـــوَ عِلْـــمُ الطِّـــبِّ لِلقُلُـــوبِ وَمَـــرْهَمٌ لِمَـــرَضِ العُيُـــوبِ(3)

=

نصر مذهب الشافعيِّ في الفروع دون الأصول قائلًا: "فلا ينبغي لأحد أن ينصر مذهبه في الفروع ثم يرغب عن طريقته في الأصول". ويعني طريقته في الأصول: ذم الكلام والحثّ على السنة.

وقال أبو الحسن الكرَجي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمن قال: أنا شافعي الشرع، أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد؛ إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول، قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه؛ إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد". «مجموع الفتاوى» (4/ 177)

وقال الحسن بن أبي بكر النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ -وكان من أصحاب أبي حنيفة، وكانت له معرفة حسنة باللغة وفهمٌ جيِّدٌ في المناظرة-: "كن شافعيًّا ولا تكن أشعريًّا، وكنت حنفيًّا ولا تكن معتزليًّا، وكن حنبليًّا ولا تكن مشبِّهًا، ولكن ما رأيت أعجب من أصحاب الشافعي يتركون الأصل ويتعلقون بالفرع". «المنتظم» (18/ 31)

(3) اعلم أن علم تزكية النفوس أو الرقائق أو التصوف بينه وبين الاعتقاد تلازمٌ؛ فإن السلوك الظاهر ليس إلا انعكاسٌ من الاعتقاد الباطن، فإذا انحرف سلوك الإنسان فإنما يدل على انحراف اعتقاده في الباطن ونقص إيمانه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة؛ بل يلزم من وجود هذا كاملا وجود هذا كاملا، كما يلزم من نقص هذا نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل كتقدير موجب تام بلا موجبه وعلة تامة بلا معلولها وهذا ممتنع". «مجموع الفتاوى» (7/ 582)، وينظر أيضًا (7/ 541)

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "...الأعمال الظاهرة في الشرع دليلًا على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرمًا؛ حكم على الباطن بذلك، أو مستقيمًا؛ حكم على الباطن بذلك أيضًا،

=

وَالنَّحْـوُ والصَّـرفُ عَلَيـكَ بِهِمَـا أُمُّ العُلُـومِ وَأَبُوهَـا فَاعْلَمَـا
مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ بِـالنَّحوِ وَالتَّصـرِيفِ ذا خِبْـرَةٍ لَـم يَخْـلُ مِـن تَحرِيـفِ
إِذْ كَيـفَ يَقْـرَا ثـمَّ كَيـفَ يَكتُـبُ وَهْـوَ لِمَـا قَـدْ دوَّنُـوا مُجْتَنِـبُ[3]

=

وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبيات، بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جدًّا، والأدلة على صحته كثيرة جدًّا". «الموافقات» (1/ 367)

ولهذا ختم ابن تيمية «عقيدته الواسطية» بذكر جملةٍ من الأعمال الظاهرة التي تنعكس من العقيدة الصافية.

ولمزيد البحث ينظر: «معالم في السلوك وتزكية النفوس» لمؤلفه أ. د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

ولٰكن مع هذا كله لا بد من التقيُّد بالكتاب والسنة في التصوّف -إن صح التعبير-، والحذر من الخروج عنهما، والميل إلى أذواق المشايخ أصحاب الطرق. قال الإمام الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير مرة: "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى به". «تاريخ الإسلام» (6/ 925). وقال أيضًا: "الطريق إِلَى الله عز وجل مسدودةٌ عَلَى خلق الله تعالى إلا عَلَى المُقتَفِينَ آثارَ رَسُول اللهِ ﷺ والتابعين لسنته كَمَا قَالَ الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾". «تلبيس إبليس» (ص/ 12)

(3) قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في أهمية العربية في علوم الشريعة: "الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا مَن فهم اللغة العربية حقَّ الفهم؛ لأنهما سيَّان في النمَط ما عدا وجوه الإعجاز.

=

كَمَـــا عَلَيـــكَ بِأُصُـــولِ الفِقـــهِ إِذْ هُـــو مَـــدْخَلٌ لِبَـــاغِي الفِقْـــهِ[3]

=

فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطًا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولًا". «الموافقات» (5/ 53)

وقال أ. د. عبد العزيز بن عليٍّ الحربي: "إنني أنصح طالب العلم أن يضرب في علم النحو والصرف والبيان ودلالة الألفاظ ومعانيها بسهم وافر، ومن لا معرفة له بعلم اللغة لا ثقةَ بعلمه. ولا نعرف في التاريخ مجتهدًا لم يتضلع في علوم اللغة -وأولها النحو- منذ عصر التصنيف فيه". «الشرح الميسر على ألفية ابن مالك» (ص/ 10)

ولمزيد معرفة أهمية علوم العربية، وحاجة علوم الشريعة إليها ينظر: «حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية» للدكتور حسن يشو.

هذا؛ وإياك أن تغترَّ بما ردده بعض الجَهَلة من قول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «فضل علم السلف على الخلف» وحمله ما لا يحتمل: "وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحوًا هو مما يشغل عن العلم الأهم والوقوف معه يحرم علمًا نافعًا...". فإن الذين رددوا هذا الكلام أغلبهم لا تستقيم ألسنتهم، بل لا يميزون بين الخبر والمبتدأ، وبين الفاعل والمفعول، وبين اسم الفاعل واسم المفعول، إلخ، فضلًا عن أن يعربوا البسملة على الوجه الصحيح!

(3) أما أصول الفقه فهو علم يعصم صاحبه الملتزم بقواعده من الانحراف عن جادة الشريعة، والانسلاخ من الدين. فإن من يستنبط الأحكام من القرآن والسنة دون أن يتقيَّد بقواعد أصول الفقه فإنه لا بد أن ينحرف ويشذّ عن طريق العلماء. ولله در محمد أسعد البوقيسي رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال في «سلم الأصول»:

=

مُصْطَحَ الحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ ... أَتْقِنْهُمَا إِنْ رُمْتَ لِلتَّيسِيرِ

فِي فَهْمِ مَعنَى مُحكَمِ الآيَاتِ ... وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ذِي الآيَاتِ

وَهٰكَذَا التَّفْسِيرُ بَعدُ وَالحَدِيثْ ... مُطَّرِدٌ ذَا فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثْ

[كَذَا المَعَانِي وَالبَدِيع وَالبَيَانْ ... لِمَا بِذِي إِدْرَاكُ إِعْجَازِ القرآنْ][3]

وَالمَنْطِقَ ادْرُسهُ ففيه العِصمَةُ ... مِن زَلَّةِ الفِكْرِ وَفِيهِ الحِكْمَةُ

هٰذَا؛ ولَا تنسَ الذي نَصُّوهُ فِي ... فَضْلِ الفرائضِ فَكُنْ بِالمُنْصِفِ

عَلَيكَ الاهْتِمَامَ فِي تَحصِيلِهِ ... وَلِلْحِسَابِ الفَضْلُ فِي تَحلِيلِهِ

وَالوَضْعُ وَالمِيقَاتُ مِمَّا يَنْبَغِي ... بِالجِدِّ يَا مَنْ لِلكَمَالِ يَبْتَغِي[4]

وَكُنْ مُشَارِكًا بِكُلِّ فَنِّ[1] ... مُعْتَنِيًا بِحِفْظِ كُلِّ مَتْنِ[5]

"وبعد: فالأصول للفقيه ... كالنحو للراوية النبيه

كلاهما يعصم عن غيِّ الخطا ... لكن ذا يعصم فيما استنبطا

فهو أداة للفقيه يقتدر ... بها على استنباط حكم المقتدر"

وما خرج هؤلاء اللبراليون والحداثيون وغيرهم من المنحرفين والملحدين إلا لجرأتهم تخطي هذا العلم في قراءة النصوص الشرعية المطهرة. ولهذا يعلم خطر مقولة: نحن رجال وهم رجال، التي رددها بعض المعاصرين، فإن هذه المقولة هي التي مشى عليها هؤلاء المنحرفون. فخرجوا بفتاوى غريبة شاذَّة، وآراء مبتَدعة ضالّة، ومقالات خبيثة كفرية، نقضوا بها إجماع الأئمة الأعلام، الذين يحمون هذا الدين الحنيف من عبث العابثين. والله أعلم

(1) فالأصل أن يأخذ طالب العلم جميع العلوم دون التفريق بينهما، وأن يضبطها. وكما قيل: "خذ شيئًا من كل شيء، وخذ كل شيء من شيء".

(3) زيادة مهمة في نسخة.

(4) ومما تتأكد دراسته علم الدفاع عن القرآن الكريم، وعلم الدفاع عن الرسول ﷺ؛ لكثرة المشكِّكين فيهما، والمسيئين إليهما. فالأول فقد أبدع الإمام الباقلاني في تصنيف له «الانتصار للقرآن»، وأحسن القاضي عياض في «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ».

(5) حفظ المتون مما لا بد منه في سبيل التفقُّه وضبط العلوم. ومما يذكر في همة طلاب العلم في حفظ المتون ما حكاه شيخنا الشيخ حامد بن أكرم البخاري -حفظه الله تعالى- في جلسة له، أن له طالبًا من أولاد الشيخ محمد محفوظ الشنقيطي، المدرس في الحرم النبوي، في الصف الثاني المتوسط في التحفيظ، يحفظ القرآن، و«المعلقات العشر»، و«ألفية ابن مالك»، و«لامية الأفعال»، وأشعار الشناقطة ودواوين الشعر بشيء مهول. وكان يحفظ القرآن متقنًا بشيءٍ عجيب، كأن القرآن نُحِتَ في صدره. وكان يشارك في مسابقة «الشاطبية»، و«مراقي السعود»، و«ألفية ابن مالك»، وكان النظام أن كل خطأ تنقص مائة ريال من مجموع الجائزة لكل متن، والتي قدره ألف ريال، وكل تردد تنقص خمسون ريالًا، لكنه أخذ الجائزة كاملةً (ثلاثة آلاف). كان يسرد هذه المتون دون توقف حتى انتهى منها، بدون تردد، فضلًا عن خطأ.

ولكن مع هذا كله قال الشيخ: والله ما رأيت أسوء حفظًا منه إلى يومنا هذا! كيف ذلك؟ كان سيئ الحفظ جدًّا، لذلك لا يستطيع أن يكثر من الحفظ في كل يوم، وكان يسمِّع خمسة أبيات فقط على شيخنا المذكور من «الشاطبية» كل يوم. ويأتي أحيانًا وهو مكسر الحفظ، فلا يحفظ منها ولا شيئًا! فسأله قائلًا: ما لك اليوم؟ ما حفظت؟ فذكر له أعذارًا، وقال: والله يا شيخ، ما أستطيع أن أكرر كل بيت مائة وخمسين مرةً! وإذا كررت مائة أو مئاتين، ما يثبت الحفظ عندي. فقال له: كم تكرر؟ قال: أكرر كل بيت خمسمائة مرةً. وأما «لامية الأفعال» فأكرر كل بيت سبعمائة مرة، وأحيانًا لا أضبط بسبعمائة مرة، وأصل إلى ألف مرة. قال الشيخ: هذا الرجل سيء الحفظ جدًّا، لكن إذا حفظ ما ينسى.

ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=imzjU2X6YWc.

وَبَعْضُـــهُم بِبَعْضِـــهَا قَـــدِ اقْتَنَـــعْ[1] وَمَـن حَـوَى الكُـلَّ أَصَـابَ وَانْتَفَـعْ

(1) وأقترح على إخواني الطلبة حفظ في كل فن متنين أو ثلاث، يتقدمها بلا شك حفظ القرآن الكريم، فإنه منبع العلوم ومصدر الخير كلِّه. ففي الحديث: «رياض الصالحين» أو مختصره للحَمَد، و«عمدة الأحكام»، و«بلوغ المرام». وفي التوحيد «نونية القحطاني»، و«سلم الوصول». وفي النحو «الآجرومية» أو نظمها للعمريطي أو للمزمري، و«ألفية ابن مالك». وفي التصريف «نظم المقصود» أو «باكورة التعريف». وفي البلاغة «مائة المعاني والبيان» أو «الجوهر المكنون». وفي أصول الفقه «الورقات» أو نظمها للعَمريطي، و«الكوكب الساطع»، أو بدله «النبذة الألفية» للبرماوي. وفي القواعد الفقهية «كفاية الطلاب»، و«الفرائد البهية». وفي مصطلح الحديث «البيقونية». والله أعلم

فصل: في آداب اختيار الكتب

عَلَيْكَ بِالَّذِي يَلِيقُ بِالمَقَامْ ... فَلَسْتَ يَا ذَا المُبْتَدِي مِثْلَ الإِمَامْ

إِذْ لَيْسَ كُلُّ كُتُبٍ مُفِيدَه ... لِمُسْتَفِيدِهَا وَمُسْتَفِيدَهْ

إِذِ المُؤَلِّفُونَ فِي ذَا الصَّدَدِ ... مُخْتَلِفُونَ فِي طَرِيقِ الرَّشَدِ

فَمِنْ مُطَوِّلٍ وَمِن مُخْتَصِرِ ... وَمِن مُعَارِضٍ وَمِن مُنْتَصِرِ

تَجِدُ ذَا اكْتَفَى بِمَتْنٍ وَاقْتَنَعْ ... وَالثَّانِ بِالشَّرْحِ أَطَالَ وَاتَّسَعْ

وَابْدَأْ مِنَ المُختَصَرَاتِ أَوَّلَا ... فِي أَيِّ فَنّ رُمْتَ أَنْ تُحَصِّلَا[1]

---

(1) وقد أحسن العلامة أبو أحمد الفضل السنوري رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال في «تسهيل المسالك»:

"أولعت بالكتب الكبار تفاخرا ... من قبل إتقان بفهم لصغارها

هلا صغار الكتب تحفظها لكي ... تجد السهولة في احتفاظ كبارها"

وقال في «الدر الفريد»: "وأما في زماننا هذا فقد تقاعدت الهمم عن المختصرات أيضًا، فقلما يوجد بهذا الزمان من يعتني بحفظ المختصرات فضلًا عن المطوَّلات، ولست أعني بحفظها حفظ الألفاظ فقط من غير فهم لمعانيها ولا إتقان لأحكامها، فلا يعارض ذلك أي تقاعد هممهم بما رأيناه من حبهم لسَماع الكتب المطوَّلات وقراءتِها واستنكافهم من سَماع المختصرات وقراءتها، فتراهم يشغلون بسماع «مغني اللبيب» و«شرح المحلي على المنهاج» وهم لا يقدرون على قراءة «شرح الآجرومية» للسيد =

هٰـذَا؛ وَكَـانُوا يُـؤثِرُونَ مَـا كَثُـرَ ... مِنـهُ حُصُـولُ الفَـتحِ[1] وَالنَّفْـعُ غَـزُرَ

بِحَسَـبِ الإِخْـلَاصِ فِي التـأليفِ ... لا حَسَـنِ التَّنْسِـيقِ والتَّكْيِيـفِ

لَا سِـيَّمَا مَـا كَـانَ لِلمَشـهُودِ ... بِعِلمِـهِ وَفَضـلِهِ المَعهُـودِ

مُعْتَمِـدًا فِي قَولِـهِ ونَقْلِـهِ ... مُعْتَرِفًـا بِضَـبْطِهِ وَعَدْلِـهِ

مُشْـتَهِرًا بِالزُّهـدِ وَالتَّقْـوَى الـوَرَع ... مُسْـتَبْحِرًا فِـي كـلِّ فَـنٍّ قَـدْ بَـرَع

إِيَّـاكَ وَالمُؤَلَّفَـاتِ الزَّائِفَـهْ ... كَكُتُـبِ الطَّوَائِـفِ المُخَالِفَـهْ

فَلَـمْ يَكُـنْ فِيهَـا سِـوَى التَّأْوِيـلِ ... وَالافْتِـرَاءِ المَحْـضِ وَالتَّضْـلِيلِ

وَكُتُـبُ التَّبْشِـيرِ وَالتَّنصِـيرِ ... فَكُـنْ بِهَـا دَوْمًـا عَلَـى التَّحْـذِيْرِ[2]

فَالـدَّاءُ أَخْفَـى مِـن هَبَـاءٍ وَأَدقّ ... إِذْ أَظْهَـرُوا البَاطِـلَ فِـي صُـورَةِ حَـقّ

[أحمد بن] زيني دحلان، و«شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع» على الوجه الصحيح، فضلًا عن تصوير مسائلها. فإنهم إنما يفعلون ذلك للتفاخر بكبار الكتب وكثرتها، وإنهم سافروا من بلادهم إلى البلاد القاصية للتفرج لا لتحصيل العلوم وإدراكها".

(1) كتب الفتح هي الكتب التي من عادة الله تعالى أن يفتح العلوم على طلاب العلم بسببها.

(2) ومن هذا القبيل كتاب «المنجد في اللغة»، و«السمير المهذب» في التهذيب؛ فإن شيخنا المرحوم الشيخ علي المالكي حرم اقتناءَ المنجد ومطالعته، فضلًا عن الاعتماد عليه، ونبه على بيان المحظور منه في عدة مواضع. وأما الأخير فإنه قرن ذكر بعض الأفاضل وسواه بمن لا يستحق ذكره في مواطن الفضل والمحاسن، حيث أني بسرد من سير بعض الصحابة كسيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتابعين، كسيدنا عمر بن عبد العزيز مثلًا، ثم سرد ذكر بعض الإفرج حسبما اطلعت فيه سابقًا. اهـ ناظمه

وَغَالِبًـــا دَسُّـــوهُ فِـــي التَّهـــذِيبِ وَكُتُـــبِ الأَخْـــلَاقِ وَالتَّأْدِيـــبِ
فَمَزَجُـــوا الطَّـــاهِرَ بِالنَّجَاســـهْ وَأَدرَجُـــوا الخِسَّـــةَ فِـــي النَّفَاسَـــهْ
قَـــدْ تُرجِمَـــتْ وَنُقِلَـــتْ مِـــن كُتُـــبِ أَعْـــدَاءِ الإِسْـــلَامِ وَأَهْـــلِ الرّيـــبِ[1]
فَضَـــلَّلُوا بِهَـــا بَنِـــي الأَوطَـــانِ بِـــئسَ الصَّـــنِيعُ عَمَـــلُ الشَّـــيطَانِ
وَقَصَـــدُوا بِـــذَاكَ نَفْـــيَ الفَـــرْقِ بَـــينَ المَسِـــيحِيِّ وَدِيـــنِ الحَـــقِّ
وَغُـــضَّ طَرَفَـــكَ عَـــنِ الجَرَائِـــدِ إِذَا خَلَـــتْ عَـــن طَيِّـــبِ المَحَامِـــدِ[2]
مَهْمَا ادَّعَى المُحَرِّرُ القَصْدَ الحَسَنْ كَخِدْمَـــةِ الـــدِّينِ وَأَبنَـــاءِ الـــوَطَنْ

---

(1) من ذلك كتب المستشرقين ومقلِّديهم تقليد الببغاء من الحداثيِّين وغيرهم.

(2) ولا سيما وسائل الإعلام في هذا العصر المنفتح؛ إذ كثيرًا ما يظهر الإعلاميون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، كما فعل قبْلَهم المنافقون. وقد أحسن العلامة عبد العزيز بن مرزوق الطريفي -أطال الله عمره في طاعته وفي حماية دينه- إذ قال: "يظنون أن الفتنة هي الإثارة والهرج فقط، ويغفلون عن أن أخطر أنواع الفتنة قلب الحقائق والمفاهيم، ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة: 48]".

وله كلامٌ نفيسٌ في هذا الباب، يمكن الاستماع إليه من خلال الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=cSQKt0zebR4

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع: ضبط وتحرير هذه المصطلحات وفق ما جاء به الكتاب والسنة، لأنها كثرًا ما يستعملها بعضهم في قطرنا الإندونيسي لمصلحة مشروعهم الفاسد: سماحة الإسلام، والوسطية والاعتدال، والتعايش، والتشدد، ونحوها.

وَكُتُـــبُ القِصَـــصِ وَالحِكَايَـــهْ عَنْهَـا ابْتَعِـدْ[1] تَسْـلَمْ مِـنَ الغَوَايَـهْ

(1) ومن الكتب التي حذر عنها العلماء كما في «إتحاف المحب السائل بأجوبة السبع المسائل» (ص/ 9-10) للشيخ أحمد بارزي المدوري: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس»، و«درة الناصحين في المواعظ والإرشاد» لعثمان الخويري، و«دقائق الأخبار في الجنة والنار» لعبد الرحمن بن أحمد القاضي، و«شمس المعارف» لأحمد بن علي البوني، و«بدائع الزهور في وقائع الدهور»، و«الرياض الفائق في المواعظ والرقائق»، و«قصص الأنبياء» لأبي إسحاق الثعالبي، و«تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي.

فصل: في آداب التدريس

وَاجْلِسْ عَلَى صَدْرِ المَكَانِ المُرْتَفِعْ ... لِيَبْلُغَ الصَّوتُ لِأَقْصَى مُسْتَمِعْ

بِمَظْهَرِ الكَمَالِ وَالوِقَارِ ... لَا لِتَكَبُّرٍ وَلَا افْتِخَارِ

مُسْتَقبِلَ البَيْتِ وَبِالوُضُوءِ ... وَالرَّأْسَ عَمِّمْهُ مَعَ الهُدُوءِ

وَسَمِّ بِاسْمِ اللهِ فِي افْتِتَاحِ ... وَاقْرِنْهُ بِالثَّنَا على الفَتَّاحِ

مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِي مُسَلِّمَا ... وَلِلْمُؤَلِّفِ تَكُنْ مُسْتَرْحِما

وَجَوِّدِ التَّعبِيرَ بِالمَقَالِ ... فِي ذِكْرِكَ المَعْنَى مَعَ المِثَالِ

وَسَوِّ بَيْنَ المُتَعَلِّمِينَا ... وَاجْعَلْهُمُو مَنزِلَةَ البَنِينَا

بِدُونِ تَمْيِيزٍ وَإِيثَارِ أَحَدْ ... فَإِنَّهُ مَثَارُ حِقْدٍ وَحَسَدْ

لَا سِيَّمَا مِنْ أَجْلِ بَذْلٍ وَعَطَا ... فَإِنَّ ذَا أَمْرٌ ذَمِيمٌ وَخَطَا

وَإِنْ رَأَيتَهُم عَلَاهُمُ الفُتُورْ ... فَأْتِ بِمَا يُوحِي النَّشَاطَ وَالحُبُوْرْ

وَلَا تُطِلْ دَرْسَكَ خَوْفَ المَلَلِ ... فَفِيهِ جَلْبٌ لِلْعَنَا وَالخَلَلِ

وَمَن جَفَا فِي الدَّرْسِ أَوْ عَنهُ ذَهَلْ ... فَازْجُرْهُ وَاعْذَرْ مَنْ سَهَا وَمَنْ جَهِلْ

فصل: في فضل اقتناء الكتب وآدابه

يَـا جَـدَّ مَـن عُنِـي بِحَـوْزِ الكُتُـبِ فَإِنَّـهُ قَـدْ نَـالَ خَيـرَ المَـأْرَبِ[1]
وَكَيـفَ لَا وَثَـمَّ حَـازَ الشَّـرَفَا أَعْنِـي اجْتِمَاعًـا بِالخِيَـارِ الشُّـرَفَا
فَتَسـتَنِيرُ بِهِـم القُلُـوبُ كَمَـا بِهِـمْ تَنكَشِـفُ الكُـرُوبُ
وَيَسـتَمِدُّ مِنْهُمُـو فَضَـائِلَا عِلْمًـا وَأَخْلَاقًـا وَمَجْـدًا وَعُـلَا
القَـوْمُ لَا يَشـقَى جَلِيسُـهُمْ بِهِـمْ يَـا رَبِّ حقِّـقْ لـي المُنَـى بِقُـربِهِمْ
وَهُـم كَمَـا قِيـلَ: إِذَا شِـئتَ فَقُـلْ فِـي وَصـفِهِمْ بِمَـا بَـدَا لَـكَ يَـا رَجُـلْ
إِنْ قُلْـتَ: هُـمْ أَحْيَـا فَمَـا كَـذَبْتَا أَو قُلْـتَ: أَمْـوَاتٌ فَقَـدْ صَـدَقْتَا

---

(1) قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: "ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه؛ شراءً وإلا فإجارةً، أو عاريةً؛ لأنها آلة التحصيل، ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظَّه من العلم وجمعها نصيبه من الفهم، كما يفعله كثير من المتحلين للفقه والحديث، وقد أحسن القائل:

إذا لـم تكـن حافظًـا واعيًـا فجمعـك للكتـب لا ينفـع"

«تذكرة السامع والمتعلِّم» (ص/ 126)

فَيَا هَنَاء مَن بِهِمْ يَسْتَأْنِسُ ... مِن عِلمِهِم وَهَدْيِهِم يَقْتَبِسُ[1]

فَأَيقَظُوهُ مِن سُبَاتِ غَفْلَتِهْ ... وَقَامَ يَصْحُو مِن غِمَارِ سَكْرَتِهْ

وَسَارَ يَقفُو إِثْرَهُمْ مُرْتَدِيًا ... ثَوْبَ الزَّهَادَات شِعَارَ الأَتْقِيَا

أَعْنِي بِهٰذَا الكُتُبَ المُعْتَبَرَهْ ... لَدَى الأَئِمَّةِ الهُدَاةِ البَرَرَهْ

مِمَّا هِيَهْ لِلدِّينِ كَالمِصْبَاحِ ... وَلِلدُّنَا عَونٌ على الفَلَاحِ

وَمَا عَدَاهَا فَابْتَعِدْ عَن مَسِّهَا ... كَي لَا تُصَابَ يَا فَتَى مِنْ رِجْسِهَا

هٰذا؛ وَصُنْهَا جَيِّدًا مِنَ التَّلَفِ ... مُغْتَبِطًا بِهَا كَأَثْمَنِ التُّحَفِ

وَعَنْ جَمِيعِ مَا بِهِ امْتِهَانُ ... كَجَعْلِهَا وِسَادَةً تُصَانُ

وَوَضْعُهَا أَوْ لَطْبْخُهَا بِنَجِسِ ... أَوْ قَذَرٍ مُحَرَّمٍ فَاحْتَرِسِ

وَلْتَتَّخِذْ لِحِفْظِهَا الدُّوْلَابَا ... وَسَدِّدَنَّ بِالزُّجَاجِ البَابَا

ضعْ كلَّ فنّ يا فتى على حدهْ ... لا خيرَ في مكتبة مُبَدَّدَهْ

---

(1) وقال الخليفة المأمون رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا شيءَ آثر للنفس، ولا أشرح للصدر، ولا أوفر للعِرْض، ولا أذكى للقلب، ولا أبسط للسان، ولا أشد للجَنان، ولا أكثر وِفاقًا، ولا أقل خلافًا، ولا أبلغ إشارةً، ولا أكثر عبارةً، من كتابٍ تكثُرُ فائدته، وتقلُّ مؤونته، وتُحمَد عاقبته، وهو محدِّث لا يُمَل، وصاحب لا يخل، وجليس لا يتحفظ، ومترجِم عن العقول الماضية، والحِكم الخالية، والأمم السالفة، يُحيي ما أماته الحِفظ، ويجدِّد ما أخلقه الدَّهر، ويُبرز ما حجبته الغَبَاوة، ويصل إذا قطع الثقة، ويدوم إذا خان الملوك".

وقال أبو توبة صالح بن محمد بن درّاج: "كان المأمون ينام والدفاتر حول فراشه، ينظر فيها متى انتبه من نومه، وقبل أن ينام".

«تقييد العلم» (ص/ 161)

لِيَسْـــهُلَ الأَخْـــذُ لَـــدَى احْتِيَـــاجِ بِـــدُونِ الارْتِبَـــاكِ وَالإِزْعَـــاجِ

فصل: في آداب استعارة الكتاب

وَإِنْ أَعَـــارَكَ الصَّـــدِيقُ مَـــرَّهْ كِتَابَـــهْ فَصُـــنْه صَـــونَ الـــدُّرَّهْ

ثُـــــمَّ إِذَا أَرَادَ مِنـــــكَ رَدَّهْ فَارْجِعْـــهُ وَاذْكُـــرْ سَـــابِقَ المَـــوَدَّهْ

الخاتمة

فلْيَـــكُ ذَا آخِـــرَ مَـــا أَورَدْنَـــا ... فِـــي العِلْـــمِ والآدَابِ إِذْ قَصَـــدْنَا
أَرجُـــو بِـــهِ الإِخْـــلَاصَ والقَبُـــولَا ... مِـــنْ رَبِّنَـــا وَنَفْعَـــهُ المَوْصُـــولَا
يَـــا رَبَّنَـــا أَحْسِـــنْ لَنَـــا الخِتَامَـــا ... بِجَـــاهِ مَـــنْ أَهْـــدَى لَنَـــا الإِســـلامَا
وَأَعْطَـــرُ الصَّـــلاةِ والسَّـــلَامِ ... عَلَـــى النَّبِـــيِّ سَـــيِّدِ الأَنَـــامِ
وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَالتَّـــابِعِيْنْ ... وَتَـــابِعِ الأَتْبَـــاعِ بِـــالحَقِّ المُبِـــيْنْ
هٰـــذَا؛ وَقَـــد قُلْـــتُ لَـــدَى التَّمَـــامِ ... هَـــبَّ نَسِـــيمُ المِسْـــكِ بِالخِتَـــامِ

سنة 1371 هـ

التقاريظ

هذا؛ وقد توجه بعد اطلاع السادة الأجلاء الكرام، من العلماء القادة الأفاضل الأعلام ، بتقاريظهم الباهرة ، وكتاباتهم الرائعة الفاخرة، بما يلي :

وهذا نص ما كتبه العارف بالله المجيب السيد العلامة النسيب أحد أفاضل سادتنا العلويين الكرام، ومن الأئمة الشافعية سابقًا بذاك المقام، سيدي الحبيب حسن بن محمد فدعق العلوي المكي – متعنا الله والمسلمين بحياته وأمدنا بمدده وأفاض علينا من بركاته بحاه النبي الأمي محمد المصطفى ﷺ آمين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وصلاة الله وسلامه على عباده الذين اصطفى، الذين أفضلهم بالإجماع بلا خلاف نبينا وحبيبنا محمد المصطفى، وعلى آلهم وصحبهم والتابعين خصوصًا العلماء المرشدين إلى طريق الهدى، والذين منهم المنسوب إليهم العالم الفاضل الشيخ عثمان بن محمد سعيد تنكل، فقد فتح الله عليه بتأليف منظومته المسماة بـ « منهج الطلاب في الحث على طلب العلم وآدابه ». فقد جمع فيها ما يحتاج إليه الطالب الصادق، والشيخ الرامق، فلا غرابة فإن صفة العلم مطلقة، زاده الله علمًا ونفع بما أجرى الله على لسانه في الرسائل نفعا عامًّا، وسلامه على سيدنا محمد القائل: «العلماء ورثة الأنبياء»، وناهيك بها من وراثة في دعوة الخلق إليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين .

قاله بفمه ورقمه بقلمه أسير هفوة ذنبه وراجي رحمة ربه عبده الفقير إلى الله تعالى

حسن محمد فدعق العلوي – عفى الله تعالى عنه –

مكة 23 / 11 / 1382 هـ

وهذا ما كتبه شيخنا وبركتنا وأستاذنا ومربينا، قدوة المريدين، ومرشد الطالبين، العالم العلامة المحقق الدراكة الفهامة المدقق، ناشر العلم بالحرم المكي بجد وإخلاص ونشاط، سيدي الشيخ حسن محمد المشاط – متعنا الله تعالى والمسلمين بحياته وأفاض علينا من بركاته آمين –:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الأدب أشرف حلية يتحلى بها الإنسان، ورفع بالعلم الشريف منصب من أراد به خيرًا، وبوءه أفضل مكان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أبرزها خالص الإيمان، وأشهد أن سيدنا ومولانا أبا القاسم محمد بن عبد الله عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فقد اطلعت في هذه الأيام على منظومة «منهج الطلاب في فضل العلم والآداب » لمحبنا الأستاذ المخلص الشيخ عثمان ابن المرحوم الشيخ محمد سعيد تنكل، فوجدتها رافعة عن وجهها النقاب، جامعة لكثير مما يطلبه العلم الصحيح من الآداب، وكادت تذهب الفضيلة وحلت محلها الرذيلة .

وقد كان إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه تذهب أمه إلى ابن هرمز شيخه، وتقول له: علمه الأدب قبل العلم ، فرحم الله مالكا ورحم أمه .

قال بعض المربِّين: اجعل أدبك دقيقًا، وعلمك ملحًا، أولئك القوم الذين يحسنون التربية، ويضعون الأشياء مواضعها، ويقصدون بالعلم العمل به ووجه الله عزوجل.

وعلى كل حال فإن هذه المنظومة «منهج الطلاب»، والاسم الذي طابق مسماه،

والبدر الذي وافقه سماه، جزى الله الناظم خير الجزاء، وأناله الخير الكثير يوم الجزاء، فإنما المرء بنيته يربح ، وبحسن طويته ينجح.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وآله وصحبه، صلاةً لا نهاية لها، كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله .

حسن المشاط

وهذا ما كتبه العالم العلامة الفاضل، والفقيه البارع التقي الكامل، الشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي المدرس بمدرسة دار العلوم الدينية بشعب علي مكة، وبالمسجد الحرام –مد الله في حياته لخدمة العلم والدين، ونفع به وبعلومه الطلبة والمسلمين آمين – قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لمن زين الإنسان بالعلم والأدب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والآل والأصحاب .

أما بعد:

فقد أطلعني أخونا في الله الفاضل الشيخ عثمان بن محمد سعيد تنكل على رسالة له سماها «منهج الطلاب في فضل العلم وأهله وذكر شيء من الأخلاق والآداب»، فرأيتها رسالة فريدة في بابها ، تخطب الكفؤ من طلابها، قد انتقى فيها ما لذ وطاب، وأتى فيها بالعجب العجاب، وفقنا الله وإياه لنشر العلم والإفادة، ورزقنا وإياه الحسنى وزيادة، وجزاه الله خيرا ووقاه بؤسا وضيرا آمين.

كتبه الفقير إلى رحمة الله القدير

عبد الله سعيد اللحجي

خادم العلم الشريف

آمين

في 25/ 10/ 1343 هـ

وقال مقرِّظًا مرتجلًا الداعية الإسلامي المحتسب الحبيب عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار العلوي:

بشرى وبشرى لأهل الجد والطلب ... ما جاء في حقوق العلم والأدب
لله « منهج الطلاب » فاجأهم ... بكل بشرى بحق الجد والطلب
والعلم في هذه الدنيا لنا شرف ... وفي المهمات لمن قد صار في الترب
ورتبة العلم اسمي رتبة بهرت ... لله من رتبة فاقت على الرتب
والعلم تاج رفيع لا يماثله ... تاج ولو كان من در أو الذهب
ولا ينال ولا يحظى به أحد ... الأمجد ومن جسر من التعب
لا بد من تعب ولا بد من نصب ... في نيله هو كل السول والأرب
وجائنا منهج الطلاب مؤتلقا ... يشع بالأدب المقصود كالشهب
مبينا أدب التعليم معتمدا ... على أراكين أهل العلم في الكتب
يحي المؤلف عثمان الهمام أتى ... بما يفيد وكم قد جاء بالعجب
لا بد للعلم والتعليم من أدب ... والعلم يزداد بالأخلاق والأدب
فدونكم منهج الطلاب فاستهموا ... عليه يا أيها الطلاب عن رغب
ونسأل الله الكريم به ... نفعا يدوم مدى الأيام والحقب

تمت

نسخ

الفقير إلى الله تعالى

فرمان هدايت بن مروادي الأندونوسي

يوم الجمعة المبارك

15/ 7/ 1440هـ